د. عبد الرحمن عميرة

الإسلام والمسلمون
بين
أحقاد التبشير وضلال الاستشراق

دار الجيل
بيروت

إننا نقدم لأبنائنا طلاَّب الجامعات الإسلامية والعربية هذا الكتاب، وقد جمعت مادته وانتزعت حقائقه من أرض الواقع المرير الذي تعيشه أمتنا الإسلامية في عصرنا الراهن. وهو رسول صدق يعطيهم صورة مجسَّمة عن الحرب الضروس التي يشنّها التبشير والاستشراق على ديننا وعقائدنا بعد أن اغتصب الكثير من أرضنا وخرَّب ديارنا وأوجد الفرقة بين صفوفنا بلؤمه ومكره وخبثه ودسِّه.

إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين الحنيف. إنه يخيفهم، فهو من القوَّة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغٍ، ويكرهه كل مفسد.

إنه حرب بذاته وبما فيه من حقٍّ أبلج، ومن منهج قويم، ومن نظام سليم.

وهذا الكتاب يقدِّم لنا، بعد صور التضليل والتزوير والتحوير والتبديل، تباشير الفجر المشرق الذي يعيد للمسلمين قوتهم ويرد عليهم ديارهم، فيرفعون راية التوحيد، ويدعون الناس إلى عبادة الواحد الأحد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

الإسلام والمسلمون

بين

أحقاد التبشير وضلال الاستشراق

د. عبد الرحمن عميرة

الإسلام والمسلمون

بين

أحقاد التبشير وضلال الاستشراق

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
(٢) ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣) مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ (٧)﴾

[الفاتحة: ١ ـ ٧].

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين.. خلق فسوى، وقدر فهدى، وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة.. لنكون خلفاء له في أرضه.. ندعو الناس جميعاً إلى توحيده، ونرشدهم إلى دينه، ونجعل دنيانا ملاذاً للسلام والأمن، وطريقاً للوئام والحب. ومطية للآخرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ـ محمد بن عبد الله ـ بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وهدى الناس إلى صراط مستقيم.

يطيب لنا أن نقدم لأبنائنا طلاب الجامعات الإسلامية والعربية هذا الكتاب الذي جمعت مادته على عَجَل، وانتزعت حقائقه من أرض الواقع المرير الذي تعيشه أمتنا الإسلامية في عصرنا الراهن.

ونرجو من الله العلي القدير أن يكون هذا الكتاب رسول صدق يقدم لأبنائنا صورة مجسمة عن الحرب الضروس، والتي يشنها التبشير والاستشراق على ديننا وعقائدنا بعد أن اغتصب الكثير من أرضنا، وخرَّب ديارنا وأوجد الفرقة بين صفوفنا بلؤمه ومكره، وخبثه ودسه.

وصدق ربي في قوله:

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

وهذه الآية الكريمة تكشف عن الإصرار الخبيث من هؤلاء الناس والتي تكشف عن عملهم الدؤوب لفتنة المسلمين عن دينهم.

إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين، ولأعداء الجماعة المسلمة في كل حين.

إن الإسلام بذاته يؤذيهم ويغيظهم ويخيفهم، فهو من

القوة ومن المتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد.

إنه حزب بذاته وبما فيه من حق أبلج، ومن منهج قويم، ومن نظام سليم.

ومن ثَمَّ لا يطيقه المبطلون البغاة المفسدون من المبشرين والمستشرقين والمستعمرين، ومن يسير في فلكهم من ضعاف النفوس من أبناء هذه الأمة.

فتراهم يعملون جاهدين لإخراج المسلمين من إسلامهم بصورة أو بأخرى من صور الكيد، فتراهم يعدون العدة وينفقون الأموال الطائلة، ولكنها بمشيئة الله لن تجدي ولن تفيد، وصدق ربي في قوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾ [الأنفال: ٣٦] .

إن هذا الكتاب يقدم لنا صور التضليل والتزوير، والتحوير والتبديل، والتي يشنها التبشير والاستشراق على الجماعة المسلمة.

ويقدم أيضاً تباشير الفجر المشرق الذي يعيد للمسلمين قوتهم، ويرد عليهم ديارهم ويخرجهم مرة أخرى إلى أركان الأرض الأربعة سادة وقادة.. يرفعون راية التوحيد، ويدعون الناس إلى عبادة الواحد الأحد، وعندها يكونون هداة ودعاة يمدنون الدنيا ويهذبون العالم ويقررون الحق للإنسان في كل بقعة وفي كل مكان، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

أ.د. عبد الرحمن عميرة

أستاذ العقيدة بجامعة الملك فيصل

* * *

تمهيد

طغيان الأفكار الأجنبية على حياة الأمة الإسلامية

للإعلام دوره الكبير في حياة الدول والشعوب. . لأنه الصورة الصادقة المعبرة عنهما في الداخل والخارج.

وكلما كانت الدولة صاحبة مذهب تريد أن ينتشر أو دعوة تريدها أن تعم كلما كان اهتمامها بالإعلام أكبر وبوسائله المؤثرة في حياة الأفراد والجماعات أكثر.

والإعلام في عصرنا الراهن. . عصر الصواريخ والأقمار الصناعية لم يعد قاصراً على الدول والممالك فقط. . بل تخطى ذلك إلى كل فرد يريد أن يعلن عن نفسه أو عن فكره، أو عن مؤسساته.

وتختلف وسائل الإعلام وموضوعاته من عصر إلى عصر. . بل من دولة إلى أخرى بمقدار نجاح تلك الوسائل، وذلك عن طريق معرفتها لرغبات الأفراد ومتطلبات الشعوب. . كلما كان دور الإعلام ناجحاً وموفقاً في أداء مهمته المكلف بأدائها[1]. ونحن الآن في أواخر القرن العشرين. . قرن الأزرار الفاتكة و«التكنولوجيا» الباهرة التي تقرر وتحقق وتغير وتبدل وتدير الرؤوس وتحرك الأيدي، نرقب ومعنا بعض المشتغلين بالفكر الإسلامي طغيان الأفكار الأجنبية

(١) راجع رجال أنزل الله فيهم قرآناً للمؤلف ٣: ٩٦.

على حياتنا وتغلغلها في كل شؤوننا، وسيطرتها الكاملة على الكثير من مناهج التعليم والتوجيه في بلادنا.

وبعض البلاد الإسلامية تشن عليها وسائل الإعلام الأجنبية الموجهة صوراً متنوعة تتعارض مع أعرافنا وعاداتنا، وتسخر من عقائدنا وتشريعاتنا وتبث أنواعاً من الرجس والفسوق الذي كان له أسوأ الأثر في حياة شبابنا وبناتنا وتغيير سلوكهم وزعزعة معتقداتهم.

ووسائل الإعلام في بلادنا عاجزة تماماً عن أن تقدم النافع المفيد.. الأمر الذي يجعل الوسائل الأجنبية من إذاعات مرئية ومسموعة تغزو أعماق بلادنا، وتحرك كل نفس، وتسيطر على كل فكر، وتتسرب إلى داخل كل بيت إلا من عصم ربي[1].

إن أعداءنا أعداء العقيدة يعرفون عنا أكثر مما نعرف عن أنفسنا، ويعرفون عن تراثنا أضعاف ما نعرف، ولقد ساعدهم على ذلك فترات الضعف التي منيت بها الأمة الإسلامية، فوضعوا أيديهم على كل ما أنتجته العقلية الإسلامية في إبان نضجها وتكاملها، ولم يفعلوا كما فعل التتار والمغول قبلهم من حملهم هذه الكنوز الثمينة من كتب ومؤلفات ـ وألقوا بها في نهر دجلة.. ليقام من هذه التلال جسر يعبر عليه الجيش المغير إلى داخل بغداد.

لم يفعل الغرب ذلك، بل بادر بمجرد أن وضع يده على هذه المؤلفات بالتعرف عليها ثم نقلها إلى بلاده، وأقام لها «الأكاديميات» المختلفة، ورصد لها المبالغ الطائلة، وخصص لها العلماء ممن عرف عنهم قدرة على البحث والدراسة، فانتفع بما فيها من معارف. وساهمت هذه الأفكار ـ بشهادة بعضهم ـ في تطوير حياتهم وبزوغ نهضتهم.

---

(١) راجع المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها للمؤلف، ص ٨.

وعرف سر قوتنا، وأسباب تفرقنا، فعمل جاهداً على إبعادنا عن منبع النور الذي بدد ظلامنا، ونقلنا في فترة من فترات التاريخ من الضعف إلى القوة، ومن الجهل إلى المعرفة، ومن أمة خائفة مفككة إلى دولة ذات سيادة وقيادة[١].

ودخلنا معه في معارك ليست متكافئة، لأننا لم نَعُدَّ لذلك، وانهزمنا أمامه في معاركنا الحربية، وفي معاركنا السياسية، وفي معاركنا الفكرية. وكانت الأخيرة أخطر أنواع الهزائم.. لأنها أتاحت له فرصة أن وضع يده على وسائل التوجيه والتعليم في بلادنا.

وكان نتيجة ذلك أن فُتن بعض أبنائنا بالحضارة المادية الغربية، وتهافتوا على نيل الشهادات التي تمنحهم درجة الماجستير والدكتوراه.

ولقد أدرك المبشرون المستشرقون عقدة الشهادات في البلاد الإسلامية فوجهوا توصيتهم للجامعات عندهم، بشراء ما يستطيعون شراءه من أبناء المسلمين نظير منحه اللقب[٢].

ولقد جاء ما يلي في كتاب: Eastethpropto Plemtodoth. 1957-p. 149.

«لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماماً، ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية، فيجب أن تختار من ذوي الطبائع الضعيفة، والشخصية الممزقة، والسلوك المنحل من أبناء الشرق، ولا سيما من البلاد الإسلامية المنح الدراسية، وتبيع لهم الشهادات بأي سعر.. ليكونوا المبشرين المجهولين لنا..

---

(١) راجع المذاهب المعاصرة، مصدر سابق، ص ٩.

(٢) راجع كتاب «موسكو وإسرائيل» دكتور عمر حليق.

لتأسيس السلوك الاجتماعي والسياسي الذي نصبو إليه في البلاد الإسلامية.

«إن اعتقادي يقوى بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالاً تاماً جنون الشرقيين للدرجات العلمية والشهادات، واستغلال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين، ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا باسم تهذيب المسلمين والإسلام[1]».

هذا ما يردده المبشرون في صحفهم وكتاباتهم، فمتى يفيق المسلمون من هذه الغفلة؟

متى يتخلص الشباب من الشباك التي نصبت لهم؟

إن الكنيسة الغربية يملؤها الزهو والافتخار، وهي ترى أن أبناء المسلمين يتعلمون أمور دينهم، ويأخذون لغتهم وفق الطرائق والمناهج التي وضعها أعداء الإسلام لهم، ونتساءل:

هل يقبل اليهود والنصارى أن يتعلم أولادهم أصول ديانتهم وفروعها على أيدي علماء المسلمين..؟

لا شك أن الجواب سيكون بالنفي..؟

فما بال مسلمي اليوم يسقطون هذه السقطات المريبة؟ وينحدرون إلى هذا المنحدر الهابط؟ ويتجاهلون قول الله تعالى:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

إن الباعث الأول في رأي القائمين على التبشير إنما هو «القضاء على الأديان غير النصرانية»[2].

---

(١) راجع الغزو الفكري والتيارات المعاصرة ـ بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) راجع قادة الفتح الإسلامي اللواء الركن محمود شيت خطاب، ص ٣١٦.

إن المعركة بين المبشرين وبين الأديان غير النصرانية ليست معركة دين بل هي معركة في سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية.

والغرب يخشى قوة الإسلام.

قال «الكاردينال لافيجيري» الفرنسي:

«وبينما كان الإسلام على وشك أن ينهار في أوروبا مع عرش السلاطين من آل عثمان، كان لا يزال ناشطاً في تقدمه وفتوحه على أبواب مملكتنا الإفريقية».

ومع أن التبشير يتناول البوذيين والبرهميين أيضاً فإن المقصود الأول بالمجهود التبشيري هم المسلمون.

والمبشرون مجمعون على أن جميع الوسائل ـ مهما كانت ـ يجب أن تستغل في سبيل التبشير[1].

* * *

(١) انظر التفاصيل في التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ٣٤ ـ ٥٧.

المبشرون الفرنسيون يسمّون المغرب العربي: شمال إفريقيا، ويجعلون سكانه قسمين:

(١) مسلمين.

(٢) أوروبيين.

أما المسلمون فهم العرب والبربر والسكان الذين هم من أصل تركي أو زنجي ممن يدين بالإسلام.

وأما الأوروبيون، فهم الفرنسيون والإنجليز والأمريكان، وسائر الذين هم من أصل أوروبي أو أمريكي، ومن أهل المشرق الذين يدينون بالنصرانية أو باليهودية.

والواقع أن فرنسا ترى ـ كسائر دول الغرب ـ أن الوعي الإسلامي خطر على النفوذ الأجنبي في البلاد الإسلامية.

وفي عام ١٩٥٧م صدر في باريس كتاب اسمه «الملف السري لشمال أفريقيا» ألفه «بيار فونتين» وملأه بالحقد والمغالطات، ولكنه كشف عقدة الخوف من العروبة والإسلام، فكان مما قاله:

«إن قضية السيطرة الإسلامية قضية رئيسية بالنسبة إلى شمال إفريقيا، وستكون غداً قضية أكثر ثقلاً فيما يتعلق بالمسلمين في القارة السوداء. أولئك المسلمون الذين يقومون بعبادات محببة جداً إلى أصحاب عدد من المذاهب الفطرية والوثنية... إلخ».

هؤلاء المبشرون يرون القوة الكامنة في الإسلام هي التهديد القوي لبلادهم[1].

ويقول المستر «نبروز» رئيس الجامعة الأميركية في بيروت: «إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا في هدفهم المباشر، وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات، إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة».

لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان.

وقال اللواء الفرنسي «جورج كاترو»: «إن المدارس الفرنسية إنما هي الأساس العريق القدم لسيطرتنا على المشرق[2]».

إن المبشرين والاستعمار يحاربون العرب والمسلمين، ولكن أشد ما يلقاه العرب والمسلمون هو أن هؤلاء يستخدمون في هذا السبيل أفراداً من العرب والمسلمين أحياناً، أفراداً لا يتورعون من أن يُسَخِّروا العلم والضمير، ويقلبوا الحقائق والأرقام رأساً على عقب حباً بالزلفى أو الاتجار. .؟؟ أما بالنسبة للاستشراق فهو أسوأ وأخطر.

فنراهم ينشئون في جامعة «كمبردج» صف اللغة العربية، ويقول مؤسسه في حفل الافتتاح:

«إننا نهدف إلى تقديم خدمة نافعة إلى الدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في «الظلمات»» (يعني المسلمين طبعاً)[3].

---

(١) المصدر السابق، ٢٣٣ ـ ٢٤٦.

(٢) راجع قادة الفتح الإسلامي ـ المغرب العربي، جـ ٢، ص ٣١٨، نقلاً عن «هكذا ضاعت وهكذا تعود».

(٣) راجع التفكير الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي.

وينشئ القسيس «زويمر» مجلة العالم الإسلامي، ليعرف أبناء المسيحية أخبار العالم الإسلامي ويقدم لهم عقيدة المسلمين محرفة مبدلة(١).

ليس هذا فحسب بل نجد «جولدزيهير» المجري الأصل يشترك في وضع دائرة المعارف الإسلامية، ويكتب عن القرآن والحديث النبوي ويتوج عمله هذا بكتابه «تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي».

أي، والله! «جولدزيهير» يكتب عن التفسير الإسلامي ويساهم في دائرة المعارف الإسلامية، ويأتي أبناء المسلمين ليتخذوا كتابه وموضوعاته مراجع أصيلة عند كتابتهم أطروحات التفسير..؟!.

ولا تعجبوا من «جولدزيهير»، فهناك المستشرق «فينسينك» العدو اللدود للإسلام وأهله، يكتب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي وتسارع كثير من الجامعات الإسلامية والعربية في تسويق كتابه والمساهمة في إعادة طبعه، بينما يُترك كتاب من كتب التراث، والذي يعتبر بحق فهرسة كاملة لأحاديث الرسول ﷺ ألا وهو «الجامع الكبير» للإمام السيوطي، بدون تحقيق أو طباعة؟!.

ونجد «فون جرونبوم» وهو يهودي من أصل ألماني، وكان أستاذاً بجامعة «شيكاغو» وهو من ألد أعداء الإسلام يكتب كتابين أحدهما «إسلام العصور الوسطى»، والثاني «محاولات في شرح الإسلام المعاصر».

ألم يكن الأجدر بعلمائنا الأجلاء أن يقاوموا ولو بالكلمة هذا الكفر ويوضحوا للأجيال الحاضرة أن الإسلام ليس كما قسمه هذا المستشرق إلى: إسلام قديم، وإسلام معاصر.؟!.

أما «ألفرد جيوم» الإنجليزي المعاصر، فإن من المؤسف أن نقول: إن

---

(١) راجع الغارة على العالم الإسلامي تأليف آل شاتلية ترجمة عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، ص ١٢٩.

هذا الرجل الحاقد على الإسلام، تخرج على يديه الكثير من أبناء المسلمين ممن أرسلتهم الحكومات في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية ثم عادوا إلى بلادهم بالأفكار الهدامة والمضللة التي لقنهم إياها هذا المستشرق ويحتلون الآن مناصب قيادية توجيهية في بلاد المسلمين.

«وجب» المستشرق الإنجليزي يكتب «طريق الإسلام» و «الاتجاهات الحديثة في الإسلام»، و «المذهب المحمدي»[1].

وكل هذه الكتب والمؤلفات طعن في الإسلام ونبي الإسلام وتشويه لمبادئه الناصعة القوية.

ولو كانت هذه المؤلفات تكتب لأبناء جلدتهم ما كان هناك بأس، وقلنا قوم يحصنون أبناءهم من الغزو الإسلامي ليحولوا بينهم وبين اعتناقه أو الاقتراب منه.. أما وأن هذه السموم تكتب وتؤلف لتصدر إلى بلاد الإسلام وأبناء المسلمين فهذا هو الخطر الذي لا يجب السكوت عليه.

وإذا كان ذلك كذلك فما هو التبشير وما حقيقة الاستشراق..؟ ومتى نشأ؟ وما أهداف كل منهما، وما النتائج التي توصلا إليها من جراء هذا العمل..؟

وأخيراً: ما موقف علماء المسلمين عامتهم وخاصتهم من هذين العدوين اللدودين..؟ وما الأسلحة التي شهرت في وجهيهما، وهل في الإمكان تحصين أبنائنا وبناتنا من هذا الغزو المتنمر..؟ أم أن المسلمين في عصرنا الراهن أصبحوا لا يملكون من أمرهم شيئاً..؟ إن هذا لن يكون بإذن

---

(١) راجع المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها للمؤلف ص ١٢، ط رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

الله تعالى أبداً، لأن القرآن الكريم الذي صنع العمالقة السابقين في صدر الإسلام، لا زال بين أيدينا ويعمر صدور الكثير من أبناء المسلمين.

ونحن في هذا الكتاب نضيء الشموع على الطريق، ونشير إلى الهدف حتى تعود أمتنا الإسلامية إلى سابق عهدها. . داعية وهادية.

ترشد إلى الحق.

وتدعو إلى سبيل الله.

وتدعو الناس جميعاً إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد.

فهل نحن فاعلون؟ نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يهيئ لنا الخير ويوفقنا إلى مرضاته والعمل بكتابه والالتزام بسنة نبيه ـ ﷺ ـ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

أ. د. عبد الرحمن عميرة

أستاذ العقيدة بجامعة الملك فيصل

التبشير
أحقاد وأضاليل

حمل المسلمون راية التوحيد، وانداحوا بها في أركان الأرض الأربعة، فأقامتهم على ظهرها قادة ومعلمين ينشرون الأمن بعد الخوف، والنور بعد الظلام، والهدى بعد الضلال، فمدنوا الدنيا، وهذبوا العالم وقرروا الحق للإنسان.

ومن هذا التاريخ، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى يضمرون للإسلام وأهله الحقد كل الحقد، والكراهية كل الكراهية، وزاد الأمر بالنسبة للنصارى عندما انتصر المسلمون عليهم في معركة «حطين»، وأسروا مليكهم لويس التاسع ـ في مدينة المنصورة ـ عندها أخذوا يرسمون خططهم، ويقعدون قواعدهم للغارة على العالم الإسلامي.

* * *

الخطوط الأولى لأوروبا بعد هزيمتها في الحروب الصليبية أمام القوة الضاربة للمسلمين

يقول المؤرخ «جرانفيل» الذي رافق الملك لويس التاسع في حملته على الديار المصرية:

إن خلوة الملك في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين، وقد انتهى به

التفكير إلى تلك الآراء والخطط التي أفضى بها لأعوانه المخلصين أثناء رحلته إلى عكا، مقلعاً إليها من دمياط.

وانتهى تفكير الملك لويس التاسع إلى أن النعرة الدينية في الغرب لم تعد كافية لإثارة الحروب ضد الإسلام والتغلب على المسلمين، فالحروب الصليبية أنهكت قوى الغرب البشرية والمالية، وأن قوى الصليبيين في بلاد الشرق أخذت في الانهيار(١).

حدث ذلك عندما مات في قلب الصليبي ذلك الحافز الروحي الذي كان يحفزه على خوض الحروب الصليبية ـ باعتبار أن الصليب هو الدين الحق، وما يعتنقه المسلمون ليست إلا مجموعة من الأباطيل.. مات ذلك الحافز وتبدل بحوافز مادية لا تتصل بالروح، وإنما تتصل بالغنائم والأسلاب التي أصبح الأمل فيهما هو الباعث الوحيد في اشتراك الصليبي في تلك الحملات.

وبوحي من هذا الغرض الزاخر بالعبر والتجارب التي كانت تطوف برأس الملك في سجنه بالمنصورة رأى أن القضاء على الإسلام أو على الأقل وقف توسعه عند حد، هو هدف حيوي بالنسبة لفرنسا وأوروبا. ونتساءل: هل في وسع المسيحية أن تواصل وحدها القيام بمحاربة الإسلام؟

وفي ضوء تجاربه كان جوابه هو أنه لم يعد في وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام، وأن هذا العبء لا بد أن تقوم به أوروبا كلها لتضييق الخناق على الإسلام وتقضي عليه، ويتم لها التخلص من الحائل الذي يحول دون تملكها لآسيا وأفريقيا(٢).

يقول المؤرخ «رينيه جروسيه»: إن الملك لويس التاسع كان بذلك في

---

(١) راجع كتاب: من الحروب الصليبية إلى حرب السويس للأستاذ: محمد علي الغنيت.
(٢) المرجع السابق.

مقدمة كبار ساسة الغرب الذين وضعوا لأوروبا الخطوط الرئيسية لسياسة جديدة شملت مستقبل آسيا وأفريقيا بأسرهما[١].

* * *

الخطوط العريضة التي رسمها الملك لويس التاسع لهزيمة الإسلام

أولاً: تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه.. لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع السلاح الذي يستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين الغربيين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام، ووقف انتشاره، ثم القضاء عليه معنوياً واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنوداً للغرب.

ثانياً: العمل على استخدام من يمكن إغراؤهم من مسيحيي الشرق في تنفيذ سياسة الغرب.

ثالثاً: العمل على إنشاء قاعدة للغرب في قلب الشرق الإسلامي يتخذها الغرب نقطة ارتكاز ومركزاً لقوته الحربية، ولدعوته السياسية والدينية، ومنها يمكن حصار الإسلام والوثوب عليه، كلما أتيحت الفرصة لمهاجمته. وقد عين لويس التاسع لإنشاء هذه القاعدة الأراضي الممتدة على ساحل البحر المتوسط.. من غزة حتى الإسكندرية، وتشمل فلسطين والأردن والبلاد المقدسة، ثم لبنان بأسرها وجزءاً من سوريا.

* * *

---

(١) راجع كتاب: أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، د. عبدالودود شلبي، ص ١٦.

لقد وضعت وصية لويس التاسع موضع التنفيذ بعد سنوات قليلة من هزيمته وقتله، في الحملة الصليبية التاسعة على تونس.

وكان بداية ذلك عندما لجأت أوروبا إلى ترجمة القرآن الكريم والتعرف على الإسلام، وقامت معاهد التبشير في أوروبا بدراسة اللغة العربية والإسلام والقرآن، من منطلق الرد عليه، وانتقاصه، وإثارة الشبهات حوله، وواكب ذلك عملية خطيرة هي: سرقة التراث العربي الإسلامي من البلاد العربية والإسلامية بواسطة القناصل والتجار.

ولقد كان أبرز ما استهدفته وثيقة لويس التاسع: القضاء على فكرة الجهاد، الجهاد الذي يقول فيه الرسول ـ ﷺ ـ عندما سأله رجل أن يدله على عمل يعدل الجهاد قال: لا أجده؟

فلما كرر عليه القول، قال عليه الصلاة والسلام:

«هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر..؟ قال: ومن يستطيع ذلك[1]».

ويكشف الدكتور محمد تقي الدين الهلالي هذا السر في مقال نشره عام ١٩٣١م في مجلة الفتح عن سير هذا المخطط في الجزائر بقوله:

«إن هؤلاء الأوروبيين الفاتحين المبعدين للأحرار.. المخربين للديار ما زالوا يحرمون كلمة الجهاد ويعدون ذكره فضلاً عن فعله من أعظم الذنوب، وهو عندهم آية الهمجية والتعصب الديني الممقوت، وبلغ ببعضهم أن حرّموا تفسير آيات الجهاد في كتب الفقه».

---

(١) أخرجه البخاري والترمذي في فضائل الجهاد.

وبعيني شاهدت صحيفة الإذن الفرنسية التي حصل عليها شيخنا محمد ابن حبيب الله الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في مدينة المشرية قسم وهران من الجزائر وفيها ما يلي:

«إن الإذن بتدريس علوم الدين مقيد بأن المدرس لا يفسر أي آية أو حديث يدل على الجهاد، وأن لا يدرس شيئاً من أبواب الجهاد في كتب الفقه».

ولما راجت دعاية هؤلاء في الشرق صار المسلمون ينفرون من لفظ الجهاد[1]، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

الخطوات العملية لتنفيذ قرارات مؤتمر التبشير الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٠٦م

«زويمر» رئيس إرسالية التبشير في البحرين أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع إرساليات التبشير «البروتستانتية» للتفكير في مسألة التبشير بين المسلمين.

وفي سنة ١٩٠٦ أذاع اقتراحه، ووضع الكيفية التي يكون عليها، ووضعت هذه الفكرة أمام المؤتمرين في مدينة «ميسور» من ولاية «أكرا» في الهند نظراً لأن هذه الولاية كانت ذات أهمية كبرى عند المبشرين فيما يتعلق بالمسائل الإسلامية.. لوجود مدرسة «عليكرة» هناك. ثم عرض الاقتراح على

(١) راجع الإسلام في وجه التغريب ـ مخططات التبشير والاستشراق للأستاذ أنور الجندي، ودراسات استشراقية وحضارية: مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية، كلية الدعوة ـ المدينة المنورة.

مؤتمر التبشير الذي كان ينعقد في مدينة «مدراس» الهندية كل عشر سنوات، فأقر المؤتمرون عقد المؤتمر الذي قدم «زويمر» الاقتراح بشأنه.

ثم شكلت لجنة لهذا الغرض لتقوم بوضع جدول أعمال المؤتمر وتوجه الدعوة إلى المبشرين في كل أنحاء العالم للاشتراك فيه.

وفي اليوم الرابع من شهر إبريل من سنة ١٩٠٦م تم انعقاد المؤتمر بالقاهرة، وحضر فيه ممثلون عن إرساليات التبشير الأمريكية والإنكليزية والأسكتلندية، والألمانية، والهولندية، والسويدية وعن إرسالية التبشير الدانماركية الموجودة في بلاد العرب[١].

وفي بداية المؤتمر انتخب «زويمر» رئيساً للمؤتمر، وقد تناول جدول أعمال المؤتمر المسائل التالية:

١ ـ القيام بعمل إحصائية عن عدد المسلمين في العالم.

٢ ـ دراسة أوضاع المسلمين في قارة أفريقيا.

٣ ـ موقف المسلمين في تركيا ومدى تمسكهم بتعاليم الإسلام.

٤ ـ وضع الإسلام والمسلمين في الهند.

٥ ـ انحسار الإسلام في فارس.

٦ ـ عدد المسلمين في الملايو.

٧ ـ موقف المسلمين في الصين ومدى مشاركتهم في النهضة الصناعية.

٨ ـ النشرات والتوجيهات التي ينبغي إذاعتها بين المسلمين.

٩ ـ إعداد المرتدين عن دينهم.

---

(١) راجع أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار، للدكتور عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، ص ٣٢ ـ ٣٣.

١٠ ـ الوسائل لحماية الذين يُضطَهَدون بسبب تركهم للإسلام.

١١ ـ الموضوعات التي يجب أن يتدرب عليها المبشرون.

وقد وجه المؤتمر ضرورة استخدام الوسائل التالية في التبشير:

(أ) استخدام وسيلة العزف بالموسيقى لأن الشرقيين يميلون إلى سماعها.

(ب) عرض مناظر الفانوس السحري على المسلمين.

(جـ) تأسيس الإرساليات الطبية لمعالجة مرضاهم باسم المسيح.

(د) ضرورة تعلم المبشرين لهجات المسلمين العامية واصطلاحاتها نظرياً وعملياً، وضرورة دراستهم للقرآن حتى يقفوا على ما يحتويه.

(هـ) ينبغي أن يُلقي المبشرون الخطب على عوام المسلمين بأصوات رخيمة وبفصاحة، وينبغي أن يخطب المبشر وهو جالس، ليكون تأثيره أشد على السامعين، وأن لا تتخلل خطاباته كلمات أجنبية عنهم، وأن يبذل جهده في اختيار الموضوعات وأن يكون بصيراً بآيات القرآن والإنجيل.. عارفاً بطرق المناقشة متسلحاً بأسلحة الاقناع.

(و) أن يكون المبشر على دراية كاملة بالنفس الشرقية.

ثم انهى المؤتمر أعماله بكلمة من رئيسه المبشر «زويمر» قال فيها:

«إن انعقاد هذا المؤتمر كان بالتقريب نتيجة لأعمال شبان التبشير المتطوعين، أما البحث في أحوال العالم الإسلامي وتبشيره فقد سبق الخوض فيه في مؤتمر «كلفلند». وهذه الخريطة التي نراها أمامنا الآن موسومة باسم خريطة تنصير العالم الإسلامي في هذا العصر، ولقد بعثت الأمل في قلوب ألوف من الطلبة في مؤتمر «ناشفيل» الذي انعقد في شهر فبراير الماضي أي من سنة ١٩٠٦م.

«والتبشير متوقف على وجود زمرة من المبشرين المتطوعين الذين يقفون

حياتهم ويضحون بها في هذا السبيل»، ثم ختم كلامه راجياً أن يكون لندائه صدى في المدارس والجامعات في أوروبا وأمريكا.

ونقول: إن ما يقوم به التبشير من إقامة المؤتمرات في قلب القاهرة بلد الأزهر يدل دلالة واضحة على أن البلاد الإسلامية كانت تحكم بالحديد والنار، وأن هؤلاء المستعمرين كانوا يتهمون كل من يعترض طريقهم، أو يحاول أن يوقف مد تبشيرهم بالخيانة والعمالة، ولولا ذلك ما كان في إمكان هذه الفئة الباغية أن تقيم المؤتمرات تلو الأخرى وتنشئ العديد من المدارس لتنفث سمومها على هؤلاء الأطفال الأبرياء من أبناء المسلمين.

وتحاول بأساليبها الملتوية العمل على إخراجهم من دينهم.

ولقد كان لهذه المدارس الدور الخطير في هذا المضمار، وكان أول من فطن لهذه الحركة جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده.. من ذلك أن إرسالية التبشير الأمريكية عملت على تنصير فتى مصريّ، وصارت تعرضه للوعظ العام الذي يحضره كثير من المسلمين في كنيستهم بحي الأزبكية، فكبر ذلك على السيد جمال الدين الأفغاني فعهد إلى جماعة من الإيرانيين بخطف الطفل من الكنيسة ووضعه في مكان خفي.

ثم ذهب هو وتلميذه محمد عبده إلى المكان الذي وضع فيه الطفل وأقنعاه بأن الإسلام هو دين الله الحق ثم سعيا لتلافي هذا الأمر لدى الحكومة، ولكن للأسف لم يجدا آذاناً صاغية.

وكان الشيخ محمد عبده أول مَنْ فكر في خطر المدارس الأجنبية في مصر، فاقترح على مجلس المعارف الأعلى، الذي شكل في مصر عام ١٨٨١م، أن يجعل مدارس الأجانب في مصر تحت مراقبة الحكومة.

ولكن مقاليد وزارة المعارف كانت في يد قسيس إنجليزي مبشر يسمى «دوجلاس دنلوب». ولقد بلغ من نفوذ هؤلاء الأجانب أن أمر اللورد «كتشنر»

وزير الأوقاف بإلغاء المستشفى الذي بنته الوزراة في مصر القديمة بجوار مستشفى «هرمن» التبشيري، لأنه يصرف كثيراً من فقراء المسلمين عنهم فيحرمون من التبشير بالنصرانية. كما أمر اللورد بتعطيل مجلة المنار لأنها ترد على المبشرين، وقد طلب المختصون من الشيخ رشيد رضا أن يتوقف عن الرد على المبشرين فأجاب بقوله:

«إني لن أدع الرد على المبشرين ما داموا يطعنون في الإسلام ويدعون المسلمين إلى دينهم، لأن الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم فرض من فروض الكفاية حيث لا أرى في البلاد مجلة ولا جريدة تقوم بها فإن تركتها كنت آثماً كجميع القادرين عليها».

وسجل السيد رشيد رضا في عام ١٩١٥: أن للمبشرين في مصر عدة مدارس، ومستشفيات، وصحف، وقد ساعدتهم الحكومة المصرية على إنشاء مدارسهم ومستشفياتهم باسم نشر العلم، وهم ينشرون في كل عام عدة كتب ورسائل في الطعن في القرآن والنبي، وتنفير المسلمين من الإسلام، فضلاً عن النشرات والأوراق الصغيرة التي ينشرونها في المستشفيات والخطب التي يلقونها في سائر معاهد التبشير.

ولكن هذه الخطوط التي تتجمع عن حركة التبشير في مصر لا يمكن أن تعطي صورة كاملة وحقيقية، إلا إذا أضفنا إليها خطة العمل الذي رسمها لورد «كرومر» للتبشير، والتي ضمها إلى تقريره السنوي عام ١٩٠٤م، هذا التقرير الذي يلقي الضوء على الخطة التي اتبعت خلال إقامته في مصر ـ عام (١٨٨٣ ـ ١٩٠٧م) وهي الخطة التي سار عليها العمل فيما بعد وقتاً طويلاً[١].

* * *

---

(١) راجع: الإسلام في وجه التغريب للأستاذ أنور الجندي، مصدر سابق، ص ٣٠.

يروا أحداً من المسيحيين إلا منذ عهد قريب ما عدا بعض السياح الذين مروا في بلادهم. واتصالهم بالمسلمين، إنما يذكرهم بفظائع الدراويش[1] والنخاسين[2] من العرب.

«وبديهي أن كل قسم من هذه الأقسام يجب أن يعامل معاملة خاصة.

«ففي القطر المصري يجب أن نطبق الحرية ليدعو المسلمون إلى دينهم وليدعو المسيحيون إلى دينهم على السواء بشرط ألا تستعمل إلا وسائل الإقناع المحلية، وكل ما تطلبه الحكومة من هذا القبيل إنما هو ألا يحدث شيء مخل بالراحة العمومية، وألا يستعمل أهل الديانة الواحدة ما ينتهك به حرمة الديانة الأخرى، وقد جرى العمل بموجب هذا الأمر فجاءت النتائج مرضية بوجه العموم.

«إلا أن هذه السياسة لا يمكن العمل بها في القسم الثاني: أي في شمال السودان من غير التعرض لخطر جسيم، فإن جمهور السكان هناك لا يزالون في حالة من الجهل تمنعهم من التمييز بين أعمال الحكومة البريطانية وبين ما يفعله أي شخص أوروبي، مهما كانت حريته إذا أطلقت أيدي المرسلين لم تأت بأعمال مثمرة، بل أثارت الشبهات والأحقاد، وقد تحمل على الإخلال بالراحة العمومية.

«وقد قلت في تقريري عام ١٩٠٢م: إني أوافق السير «رجنالد ونجت» حاكم السودان تمام الموافقة على رأيه وهو: أن الزمان الذي يسمح فيه للمبشرين بالتبشير هناك، ويكون تبشيرهم مأمون العاقبة لايزال بعيداً، ولم يستثن مكان من القسم الثاني من الشروط المتقدمة إلا مدينة الخرطوم، فإن

---

(١) الدرويش في نظام الصورية: الزاهد الجوال وجمع الدرويش دراويش وهي كلمة فارسية.
(٢) النخاسين: تجار الرقيق، والنخاس: بائع الدواب والرقيق.

(تقرير كرومر)

قال اللورد كرومر:

«من البيّن الجلي أنه ليس من أغراض الحكومة البريطانية دعوة الناس للانتقال من مذهب إلى مذهب.. لا في ممالكها ولا في البلدان التي لها فيها شيء من السلطة، والأدلة على ذلك كثيرة ولا سيما في بلاد الهند كما يظهر من سياسة الحكومة فيها مدة أكثر من قرن.

«فإن أعمال التبشير فيها لا تتجاوز أناساً مخصوصين، والحكومة لا تعطيهم أقل عناية مالية، وإنما تطلق الحرية لكل الأديان، وتراقب أعمال المبشرين مراقبة تكفل أنهم لا يُستخدَمون لتنصير غير المسلمين إلا بالوسائل المحلية التي لا اعتراض عليها.

«ومن الجري على هذه المبادئ في مصر والسودان لا بد من قسمة البلاد إلى ثلاثة أقسام تختلف بعضها عن بعض من حيث المعاملة التي تعامل بها:

«**فالقسم الأول**: (القطر المصري) وهذا أكثر سكانه مسلمين، وجانب كبير من المسلمين متعلم مهذب، وقد طال اختلاطه بالأوروبيين فعرف كثيراً من آرائهم وأساليب حكوماتهم.

«**والقسم الثاني** ((شمال السودان) وسكانه الأصليون مسلمون كلهم وهم في غاية الانحطاط من حيث العمران بالنسبة إلى إخوانهم المصريين، وليس منهم الآن فريق متعلم، ولم يختلطوا بالأوروبيين لمعرفة آرائهم وأساليب حكوماتهم إلا منذ عهد قريب، وقد دل الاختبار على أنهم مائلون لتصديق كل شيء، ومعرضون للتحمس الديني ينقادون لكل دجال كما حدث في زمن المهدي (وهذه دعوى باطلة).

«**والقسم الثالث**: يشمل كل (جنوب السودان) وسكانه وثنيون كلهم لم

سكانها ليسوا مسلمين بل فيها كثير من المسيحيين مستوطنون فيها، وهم من طوائف مختلفة وهي مركز الحكومة فيسهل مراقبة أعمال المبشرين بالتدقيق. وسكانها المسلمون مختلطون برجال الحكومة. ثم إن الحاجة شديدة إلى تعليم أولاد المسلمين وأولاد المسيحيين، ولا تستطيع الحكومة أن تلبي كل ما يطلبه الأهالي من هذا القبيل، فلهذه الأسباب أتيح للمرسلين أن ينشئوا مدارس في الخرطوم، ولهم أن يدخلوا في مدارسهم ما شاؤوا من التعاليم الدينية، ولكن الحكومة توجب عليهم أن يخطروا آباء التلامذة المسلمين، وآباء التلامذة المسيحيين الذين هم من طائفة غير طائفتهم عن أنواع العلوم التي تعلم في مدارسهم قبل أن يرسلوا أولادهم إليها[1].

أما في **القسم الثالث**: الذي يسكنه الوثنيون فقد كتب «سير رجنالد ونجت» يقول: «إن أعمال المبشرين جنوبي (كودك) فاشودة سائرة سيراً مستمراً، وأعمال المبشرين الأمريكان والكاثوليك يقصد بها تمدين الأهالي وتهذيبهم أكثر مما يقصد بها إدخال الديانة المسيحية بين القبائل الوثنية، وعندي أنهم مصيبون في اتباع هذه الخطة ولا شبهة في أن التعليم الصناعي الذي يعلمونه لقبائل الشلوك والدنكا وغيرها نافع جداً في نظر الحكومة والعمل جار بسرعة في بناء دار للمرسلين في لول، وقد أقاموا داراً أخرى في طنجا، وأقيمت داران في بحر الغزال، والمطران السيد جابر باذل أقصى جهده في توسيع نطاق رسالته، والعمل الذي عمل إلى الآن مفيد لتمدن الناس، ويقال مثل ذلك عن المرسلين الأمريكيين».

ويقول كرومر: «وقد قلت في نوفمبر سنة ١٩٠٢م: ومما يتوجب الأسف أنه لم توجه جمعية من جمعيات المرسلين الإنجليز أنظارها إلى إقاليم السودان

---

(١) يقول المستر (نيروز) رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت: لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان.

الجنوبية التي يسكنها الوثنيون، ولكن ندائي لم يأت بفائدة فأرسلت كتاباً إلى جمعية التبشير في ٦ ديسمبر سنة ١٩٠٣م أخبرها: أن قسماً كبيراً من البلاد خصص لها في الوقت الحاضر، وقد عينت أقساماً من البلاد للمرسلين النمسويين والأمريكيين، وأرسلت لهما عما إذا كانا يريدان أن يرسلا المبشرين إلى البقعة التي حددت لهما..؟

«ثم علمت أن المسألة في معرض البحث.

«ولم يطلب أحد حتى الآن رخصة لإنشاء مدارس في جنوب السودان على نفقته يعلم فيها فرائض الإسلام، ولو طلب أحد ذلك لحل طلبه محل القبول.

«أقول ذلك إظهاراً لخطة الحكومة ودفعاً لكل وهم».

ونقول بالرغم من أن هذا التقرير أخفى الكثير من الحقائق، فإن ما جاء فيه يدعو إلى الحزن والأسى.

لقد تركت بلاد المسلمين كلاً مباحاً لكل المبشرين من كل بلاد الغرب حتى إن الدول التي تباطأت في إرسال مبشريها تحث عن طريق «كرومر» لسرعة الحضور والتواجد.

ويرسل صيحة الانتصار والتشفي عندما يعلن أنهم يعلِّمون ويفتحون العديد من المدارس والمستشفيات للتبشير بدينهم، ولكن المسلمين سواء في مصر أو السودان لم يتقدم أحد منهم بمرسوم يطلب فيه إنشاء مدرسة واحدة ليتعلم فيها أبناء المسلمين قواعد دينهم.

وهذه مغالطة كبرى، فلقد قام أشخاص كثر بذلك ولكن كانت طلباتهم تخنق وترفض ولا ترى النور.

والدليل على ذلك أنه عندما أنشأت وزارة الأوقاف المصرية مستشفى

لعلاج المرضى ثارت وفارت الإدارة الإنجليزية لمصر في ذلك الوقت وطالبت بإغلاقها.

طالبت بإغلاقها لأنها حالت بين مستشفيات التبشير وبين صيدها الثمين من مرضى المسلمين، التي كانت تقدم لهم الدواء لأجسادهم والهدم والسم لعقائدهم وأرواحهم..؟!

* * *

التبشير يغير خططه ومناهجه

قال زعيم التبشير «زويمر» عام ١٩١٠ أي بعد عقد مؤتمر القاهرة بأربع سنوات:

«لقد جربت الدعوة إلى النصرانية في أنحاء الكرة من الوطن الإسلامي، وأن تجاربي تخولني أن أعلن بينكم على رؤوس الأشهاد أن الطريقة التي سرنا عليها إلى الآن لا توصلنا إلى الغاية التي ننشدها، فقد صرفنا من الوقت شيئاً كثيراً وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة، وألفنا ما استطعنا أن نؤلف، وخطبنا ما شاء الله أن نخطب، ومع ذلك فإننا لم ننقل من الإسلام إلى النصرانية إلا عاشقاً بنى دينه الجديد على أساس الهوى، أو نصاباً سافلاً لم يكن داخلاً في دينه من قبل حتى نعده قد خرج عنه بعد ذلك، ولا محل لديننا في قلبه حتى نقول: إنه دخل فيه، ومع ذلك فالذين تنصروا لو بيعوا بالمزاد لا يساوون ثمن أحذيتهم..؟! فالذي نحاوله من نقل المسلمين إلى النصرانية هو اللعب أشبه منه بالجد، فلتكن عندنا الشجاعة الكافية لإعلان أن هذه المحاولة قد فشلت وأفلست، وعندئذ يجب علينا قبل أن نبني النصرانية في قلوب المسلمين أن نهدم الإسلام من نفوسهم حتى إذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتي بعدنا أن يبنوا النصرانية في نفوسهم أو في نفوس من يتربون على أيديهم.

«إن عملية الهدم أسهل من عملية البناء في كل شيء إلا في موضوعنا.. لأن هدم الإسلام في نفس المسلم معناه هدم الدين على العموم، وهي خطة

مخالفة لما ندعو إليه لأنها خطة إلحاد وإنكار للأديان جميعاً، ولكن لا سبيل إلى تخليص المسلمين من الإسلام غير هذا السبيل»(١).

لقد فشل «زويمر» وجماعته إلى تحويل المسلمين إلى نصارى بالرغم من الإمكانيات المهولة التي كانت تحت أيديهم، والأموال الطائلة التي صرفت في سبيل ذلك والجيش الكبير من المبشرين الذي كان يتغلغل في كل مكان، ويطرق كل مدينة، ويتسلل إلى كل قرية، ويفتح أبواب كل منزل؟؟ وتقدم إحدى الصحف إحصائية عن العدد والعدة التي جهزتها تلك العصابات لنقل المسلمين عن إسلامهم.

تقول الإحصائية: لقد كانت تحت سلطة قوافل التبشير ٩٨٣٨٨ مبشراً يملكون ٨١ مدرسة وجامعة وكلية منتشرة في بلاد المسلمين تحتوي على ٧٩٩١ طالباً و١١٣ مدرسة روضة أطفال فيها ٤٠٣ أطفال و٥٠٠ مستشفى و١٠٢٤ صيدلية لها أكثر من ٤ مليون يتعاملون معها وتبلغ عدد إرساليات التبشير العامة ٣٨٣٨ درجة أولى و٣٤٧١٩ درجة ثانية.

وتقدر المبالغ التي أنفقت في عام واحد بخمسة ملايين من الجنيهات(؟!) كما أشارت التقارير الواردة من جمعية التوراة ومركزها ١٤٦ شارع الملكة فيكتوريا في لندن عن توسيع نطاق حركة التوزيع في اليابان، والصين، ومصر، وأنه قد تم توزيع ١٥٠ ألف نسخة في السودان الإنجليزي والعربي، والحبشة، وفلسطين، وسوريا وقبرص بجوار مصر.

وذكر التقرير أن جمعية نشر التوراة البريطانية أنشئت عام١٨٠٤ ووزعت حتى عام ١٨٩٩ حوالى ١٦٠ مليون نسخة مترجمة إلى أكثر من ٣٦٤ لغة، كما

---

(١) الإسلام في وجه التغريب، ص ٧١.

ورد ذكر الاتجاه إلى عقد معاهدة وبلغت نفقاتها السنوية ٢٣٠ ألف جنيه بين بريطانيا ومصر[١].

من يصدق ذلك..؟ إن كل هذه الأموال قد أنفقت، وكل هذه المعدات قد جهزت ومع ذلك الذين خرجوا من الإسلام حثالة قليلة لا تساوي ثمن أحذيتهم كما قال «زويمر»..؟؟

وصدق ربي في قوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٦ ـ ٣٧].

إنهم ينفقون أموالهم ويبذلون جهودهم ويستنفذون كيدهم في الصد عن سبيل الله، وفي إقامة العقبات في وجه هذا الدين، وفي حرب العصبة المسلمة في كل أرض وفي كل حين.

إن المعركة لن تتوقف وأعداء هذا الدين لن يدعوه في راحة، ولن يتركوا أولياء هذا الذين في أمن، وسبيل هذا الدين هو أن يتحرك ليهاجم الجاهلية، وسبيل أوليائه أن يتحركوا لتحطيم قدرة الكفر على العدوان، ثم لإعلاء راية الله حتى لا يجرؤ عليها الطاغوت.

والله سبحانه وتعالى ينذر الكفار الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله بأنها ستعود عليهم بالحسرة... إنهم سينفقونها لتضيع في النهاية وينتصر الحق في هذه الدنيا.

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٣.

إن هذا المال الذي ينفق يُؤلِّب الباطل ويملي له العدوان، فيقابله الحق بالكفاح والجهاد، وبالحركة للقضاء على قدرة الباطل على الحركة، وفي هذا الاحتكاك المرير تنكشف الطباع ويتميز الحق من الباطل، كما يتميز أهل الحق من أهل الباطل حتى بين الصفوف التي تقف ابتداء تحت راية الحق قبل التجربة والابتلاء، ويظهر الصامدون الصابرون المثابرون الذين يستحقون نصر الله لأنهم أهل لحمل أمانته[1].

إن «زويمر» لم يقرأ التاريخ، ولو قرأه لكفى نفسه وأتباعه مؤونة هذا العدد والعدة التي جهزوها بليل للإجهاز على الإسلام وأهله، وتجاهلوا قدرة الله تعالى وفضله في هذه القضية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

نقول: إن «زويمر» لم يقرأ ولم يستفد من تجارب غيره، لقد شنت الجاهلية الأولى ممثلة في قريش وحلفائها حرباً ضروساً على أتباع هذا الدين... لتردهم عنه، ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً في عدوانها، ولم تكن حرباً واحدة التي شنت على عمار بن ياسر وأُمه سمية، وصاحبه بلال، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي ومصعب بن عمير، ولكنها كانت حروباً متنوعة تشمل نفوس الأفراد وما يربطه من صلة الرحم، ووشائج القربى، وها هو سعد بن أبي وقاص يعلن إسلامه ويصل خبر إسلامه إلى أمه أقرب الناس إلى قلبه وأحبهم إلى نفسه ـ عندها تنتفض الأم غاضبة ومهددة فلذة كبدها قائلة: يا سعد لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيّر بي، ويشار إليك ويقال: هذا قاتل أمه.

ولكن الابن البار يقول لها متوسلاً وناصحاً: لا تفعلي يا أماه، فإني لا أدع ديني لهذا الشيء أو لأي شيء.

---

(١) راجع: في ظلال القرآن ٣:٨٥٣ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، لبنان.

قالوا: فمكثت الأم يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب فأصبحت وقد أجهدت، فلما رأى سعد ـ رضي الله عنه ـ ذلك قال:

«تعلمين، والله، يا أماه، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي. فلما رأت ذلك أكلت[1]. فنزل قول الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان: ١٥].

ثم ماذا يريد أن يفعل «زويمر» بعد فشله الذريع في نشر الديانة المحرفة..؟

أيقنع بالواقع ويكف عن هذا العبث..؟

أتراه شعر بأن الإسلام وهو خاتم الأديان السماوية أنزله العليم الخبير؟

أتراه وقر في قلبه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩] وآمن بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]؟

الحق أن هذه الهزيمة التي أصابته في الصميم طمست على قلبه وزادته كفراً على كفر وضلالاً على ضلال وعمل على تغيير خططه واستراتيجيته، فنراه يوصي جيوشه وأتباعه من جماعة التبشير في المؤتمر الذي عقد في تونس عام ١٩٣١، وقد دفعت خزينة تونس التابعة للنفوذ الاستعماري الفرنسي مليوناً من الفرنكات مساهمة منها في تكاليف المؤتمر كما وضعت الأسرّة في المساجد ليرقد عليها الرهبان الذين جاؤوا من أطراف الأرض.

يقول «زويمر»: «إن التبشير قد وصل إلى أسمى غاية في مهاجمة

---

(١) راجع: رجال أنزل الله فيهم قرآناً للمؤلف ٢: ٩٤.

الإسلام، وأدى المهمة على أكملها وانتهى إلى نتائج لم يكن أحد يحلم بها منذ الحروب الصليبية.

«ليس عمل التبشير إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا مسيحيين، لقد برهن التاريخ من أبعد أزمنته على أن المسلم لا يمكن أن يكون مسيحياً مطلقاً والتجارب دلتنا ودلت رجال السياسة المسيحيين على استحالة ذلك، ولكن الغاية التي نرمي إليها هي إخراج المسلمين من الإسلام فقط ليكون المسلم بعدها إما ملحداً أو مضطرباً في دينه، وعندها لا يكون مسلماً أي لا تكون له عقيدة يدين بها ويسترشد ضميره بهديها.

«وعند هذا الأمر لا يكون للمسلم من الإسلام إلا الاسم ولا يكون مسيحياً ولا يهودياً. . . إما ملحداً لا يؤمن إلا بالمادة، أو مضطرباً يحتقر الإسلام والمسلمين. . . لقد قضينا على برامج التعليم في الأقطار الإسلامية فأخرجنا منها القرآن وتاريخ الإسلام».

هذا ما قاله «زويمر» للمؤتمرين فهل نجح مخططهم الجديد. .؟

هل استطاع هو وجماعته إخراج المسلمين من الإسلام. .؟

وإذا كان ذلك كذلك فما هي الوسائل التي اتبعها رئيس المبشرين حتى نجح في خطته الجديدة. .؟

للإجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر في المبحث.

* * *

لقد كان من أبرز بنود هذا المخطط ما يأتي:

أولاً: إبعاد اللغة العربية عن مجالات التعليم، واضطهاد معلمي اللغة العربية من خريجي الأزهر، والزيتونة والقيروان، وإحلال اللغة العامية محلها، وبذلك يكون البون شاسعاً بين المسلمين وقرآنهم وحديث نبيهم.

وقد شغل عدد من المبشرين بأمر العامية، واهتموا بها، وألفوا عنها؛ وفي مقدمتهم «ولهلم سبيتا» و«كارل فولرس» و«سلدن» و«بلكوكس» وكان بداية ذلك عام ١٨٨٠م واستمر حتى عام ١٩٢٦م تقريباً، هذا في مصر.

وأما في المغرب فقد تولى هذه المهمة «كولان» ومن بعده «ماسينون» وفي لبنان ظهر كثير من دعاة التبشير يطالبون بالدعوة إلى العامية والكتابة بالحروف اللاتينية، وإحلال اللهجات العامية محل اللغة الفصحى في كل قطر وبذلك ينفرط عقد المسلمين الذين استطاعوا المحافظة على لغتهم أكثر من أربعة عشر قرناً.

ولقد أشار إلى هذا الخطر المحدق باللغة العربية مستر «بلنت» في تقريره الذي نشرته جريدة اللواء والذي قال فيه:

«يظهر لمن يتحقق في شؤون مصر أن اللورد «كرومر» وضع قانوناً لسياسة التعليم وقرر في هذا القانون أن لا يتعلم النشء المصري الجديد إلا لغة انجلترا، وكل ما كان مخالفاً للدين الإسلامي، وإلا فليبق هذا النشء بغير علم

على الإطلاق، ولذا رأينا على رأس وزارة المعارف «المستر دنلوب» وهو رجل انجليزي ذو شهرة سيئة لأنه عدو للمسلمين وعدو للغة العربية ويساعده في عمله رجل أرمني مسيحي اسمه يعقوب أرتين وهو بلا ريب عمل مشين، وقبيح في بلاد إسلامية».

ويتابع «مستر بلنت» حديثه قائلاً: «وإذا أراد المصريون أن ينالوا استقلالهم ويحرروا وطنهم، فعليهم الاحتفاظ بما تحتفظ به كل أمة مهضومة وهو الدين واللغة، فإن الأمة التي تقبل لغة الغالب الفاتح تسجل على نفسها الذل والطاعة العمياء، والأمة التي تقبل دين من اغتصب بلادها تخون شرفها الوطني، وأنا أنصح للمصريين أن لا يستمعوا إلى أقوال بعض الصحف الفرنسية في القاهرة التي تقول: إن التعليم إذا كان وطنياً فلا ينبغي أن يكون دينياً على الإطلاق، وأشير على مصر بأن لا تضيق على نفسها نطاق التعليم، فإن الإسلام دين حق تام لا يعرف حداً يقف عنده في سبيل التقدم الحقيقي، ويمكن لمن يعرفه جيداً أن يصل إلى أسمى درجات المدنية الحديثة، ولحل أغراض المسائل العلمية الكبْرى».

وهذه كلمة حق وصدق وشهادة من رجل لا يدين بالإسلام ولكنه يعرف قيمته ومّا يحويه من مبادئ صنعها اللطيف الخبير الذي خلق هذا الإنسان، وحدد له طريقه في الحياة.

ثانياً: نشر لواء اللغة الإنجليزية، وتأهيلها للسيطرة الكاملة على كل شؤون التعليم، وذلك للقضاء على نفوذ اللغة العربية، ولقد أوكلت هذه المهمة للقسيس «دنلوب» مستشار وزير المعارف في مصر في ذلك الوقت.

ثالثاً: إعداد برامج تقضي على شخصية الأمة، وتهدف إلى تصويرها بصورة البلد المحتل المغلوب على أمره، واتهام الحضارة الإسلامية بالضعف، واللغة العربية بالتخلف والإسلام بالجمود، واتهام أتباعه بالسطحية.

ولقد كلف الاستعمار والتبشير بعض أبناء الأمة العربية ممن تربوا في أحضان تلك البلاد أن يعلن هذه الأشياء. ولقد انبرى الدكتور طه حسين، ومن هم على شاكلته في إبراز هذه المثالب وإثارة الشبهات حول بعض رجالات الإسلام ـ حتى لا يكون للجيل الجديد من أبناء المسلمين قدوة يقتدون به ـ ومن هذه الشبهات ما أثاره الدكتور طه حسين حول نسب المتنبي بغرض تحقيره وتصغيره في نفوس المعجبين به حتى ادعى أنه لقيط، وقدم الأدلة التي ساقها المستشرق «بلاشير» في كتابه.

وقد تصدى لهذه الافتراءات الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر في فصول متتالية نشرتها الصحف في حينها.

وأيضاً عنى الدكتور طه حسين بمحاولة تحطيم شخصية «ابن خلدون»[(١)] في أطروحته التي تقدم بها إلى جامعة باريس عام١٩١٤م والتي كتبها تحت إشراف رجل يهودي متعصب هو «دوركايم».

رابعاً: تجاهل الروابط والجذور التي تربط المصريين بالعرب والمسلمين دماً وجنساً ولغة وديناً، وخلق جو من الإقليمية، وإبراز صور الخلاف والحروب والصراعات التي قامت بين المصريين والعرب، أو بين العرب والمسلمين.

وتنفيذاً للمخطط المرسوم أبطل «دنلوب» في وزارة المعارف المصرية العديد من الكتب التربوية النافعة، لأنها تتحدث عن القيم الإسلامية أو أساليب الجهاد، وقرر بدلاً منها كتباً خالية تماماً من القيم وبذلك خلت المناهج من

---

(١) هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد من ولد وائل بن حجر المؤرخ العالم الاجتماعي البحاثة أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس. اشتهر بكتابه «العبر ودوان المبتدى والخبر»، في سبعة مجلدات أولها المقدمة وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت إلى الفرنسية وغيرها، توفي عام ٨٠٨هـ راجع الضوء اللامع ٤: ١٤٥.

روح الإسلام تلك الروح التي تصنع الرجولة وتعد شباب الأمة ليكونوا درعاً واقياً لها في السلم والحرب.

هذا ما قرره زعماء التبشير في داخل البلاد، وعملوا جاهدين على تنفيذ بنوده.. أما في الخارج، فكان مخططهم وأساليبهم كالآتي:

فقد أنشأ «زويمر» مجلة العالم الإسلامي ليعرف أبناء المسيحية أخبار العالم الإسلامي ويقدم لهم عقيدة المسلمين محرفة مبدلة.

وينشأ في جامعة «كمبردج» صف اللغة العربية ويقول مؤسسه في حفل الافتتاح:

«إننا نهدف إلى تقديم خدمة نافعة إلى الدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون الآن في الظلمات» (ويعني بذلك المسلمين)(١).

حتى روسيا الإلحادية صاحبة«المذهب الشيوعي» والتي أبادت المسلمين على أرضها، وحرمت على البقية الباقية أن تؤدي تعاليم الإسلام أو تلتزم بشرعه، وحرمت المسلمين من كل وسائل الحياة السليمة، وقذفت بالآلاف منهم في مناجم الفحم تحت الأرض ليموتوا مختنقين أو يسقطوا صرعى الجوع والإرهاق.

روسيا هذه تقيم مؤتمراً تبشيرياً، وتسمى هذا المؤتمر بمؤتمر «باكو»، والذي أعد له واختار موضوعاته أقطاب النصارى واليهود، وعلى رأسهم «راديك» اليهودي الصهيوني.

وقد نشرت المجلة العسكرية التي تصدر في «موسكو» في ذلك الوقت

---

(١) راجع المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها للمؤلف، ص ١١.

تعليقاً على مؤتمر «باكو» واصفة البيان الذي أصدره المؤتمر بأنه «قرآن جديد» للمسلمين.

والواقع أن بيان مؤتمر «باكو» فيه من النصوص ما يكفي لإثارة غضب أقل المسلمين تعلقاً بعقيدته[1].

ونقول:

هذا ما أحدثه التبشير وأتباعه في النصف الأخير من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، ولا يستطيع القلم مهما أوتي من فصاحة وبيان أن يحيط بكل المآسي والنكبات التي أصابت المسلمين في هذه الفترة العصيبة التي تعاون فيها الاستعمار وأذنابه والتبشير وأتباعه على قهر المسلمين وإذلاهم، واغتصاب أرضهم وديارهم، وخيرات بلادهم.

وإذا كان ذلك كذلك فما موقف التبشير في النصف الثاني من القرن العشرين؟

* * *

مؤامرات التبشير يكشف النقاب عنها المؤتمر الثامن لعلماء المسلمين بالأزهر الشريف

في هذا المؤتمر الذي جمع علماء المسلمين وقف سماحة الشيخ عبد اللّه ابن علي المحمودي من دولة الإمارات العربية المتحدة يعرض على أعضاء المؤتمر وثيقة تبشيرية فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أصحاب الفضيلة والسماحة

(١) راجع كتاب «موسكو وإسرائيل» دكتور عمر حليق، والمصدر السابق، ص ١٤.

لقد كان تفكيري متجهاً قبل تقديم هذه الوثيقة ـ إلى تقرير خاص أعددته عن دول الخليج وإماراته بعد أن رحل عنها ظل الاستعمار الغاشم.

تقرير نستعرض فيه معاً حال هذه الإمارات والدول التي عمل الاستعمار طويلاً على إفساد عقيدتها ودينها بأساليبه الشريرة الخبيثة، ومحاولاته الهدامة المخربة، ومؤامراته الخفية والظاهرة، ولكني رأيت ـ بعد الحصول على وثيقة تبشيرية خطيرة ـ إرجاء هذا التقرير لفرصة مقبلة وخاصة أن الخليج عاد إلى أهله، واشتد أزر الإصلاح في كل أنحائه، وقامت وزارات متخصصة في العمل لرفع راية الإسلام وإعلاء كلمته.

وقبل قراءة ما جاء في هذه الوثيقة أرى من الضروري الإشارة إلى هذه النقاط الآتية:

أولاً: أن هذه الوثيقة تمثل جانباً واحداً من جوانب النشاط التبشيري المتعدد الهيئات والمذاهب، فهي تتناول ما تقوم به الطائفة «الإنجليكانية» أي طائفة «البروتستانت» وهي طائفة تعتمد بالدرجة الأولى على النفوذ الأمريكي والبريطاني في العالم كله.

أما ما يقوم به «الكاثوليك» من نشاط تبشيري فشأنه أخطر من ذلك ألف مرة ويكفي أن «الفاتيكان» يخطط بدهاء «الكثلكة» أندونيسيا التي يركز عليها في الوقت الحاضر بجشود من المبشرين والأطباء ومعلمي المدارس، والمساعدات الاجتماعية المختلفة.. كما سمعت ذلك من الدكتور محمد ناصر الرئيس الأسبق للوزارة في أندونيسيا.

ثانياً: يلاحظ في هذه الوثيقة أنها تعد الأزهر الشريف عقبة كؤوداً في العالم الإسلامي وفي جمهورية مصر العربية بصفة خاصة.

ثالثاً: كما هي عادة التبشير في تزييف الحقائق، وإلباس الباطل الحق

تزعم هذه الوثيقة أن أحد علماء الأزهر قد ارتد عن دينه في لبنان وأصبح مبشراً وأن كتب التبشير تجد رواجاً في المملكة العربية السعودية، وهي أكاذيب ليس لها سابقة في مصر والعالم الإسلامي كله.

فقد سمعت ذات يوم أن شخصاً يدعى الشيخ كامل منصور، وهو من خريجي الأزهر في مصر، قد تحول عن دينه وأخذ يبشر بالثالوث في إحدى كنائس الطائفة «الإنجليكانية»، وهي كنيسة كانت ملحقة بإحدى المدارس الأمريكية في منطقة الأزبكية، وهي فرية مكذوبة.. الغرض منها توهين الروح المعنوية عند ضعاف الإيمان، وصغار النفوس، وإيهام الناس أن مسلمين قد ارتدوا عن دينهم وصاروا مسيحيين.

رابعاً: يلاحظ في هذه الوثيقة أن العمل التبشيري يستغل دائماً المآسي الإنسانية والتخلف الاقتصادي ليتسرب من خلالها إلى تضليل الناس كما يحدث الآن في بنجلاديش، واليمن الجنوبية، وبين اللاجئين الفلسطينيين من الضفة الغربية.

خامساً: أن التبشير له مخطط وهدف يسعى إليه في النهاية.. هذا المخطط هو القضاء على الإسلام، والسيطرة على معاقله الرئيسية، فإن التركيز على منطقة الخليج هدفه الزحف إلى مكة[١].

أصحاب الفضيلة والسماحة

نحن نعتقد ونؤمن إيماناً لا يخالطه شك ولا ريبة أن هذا كله أضغاث أحلام، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ نزل ذكره وهو له حافظ إلى أن تقوم الساعة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) راجع المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية، الجزء الثاني، ص ٤٣٩، وثيقة تبشيرية لسماحة الشيخ عبدالله بن علي المحمودي.

﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦].

لقد حصلنا على هذه الوثيقة بنصها الإنجليزي من لندن وقام بترجمتها بعض الغيورين من أبناء الإسلام إلى اللغة العربية، وهذه الوثيقة عبارة عن تقرير ألقي في مؤتمر عام ١٩٦٩، في يوم الجمعة الثاني من مايو إلى يوم الخميس الثامن من مايو سنة ١٩٦٩ وكان مكان هذا المؤتمر في «هيون بي كورت» في بريطانيا فماذا يقول هذا التقرير؟

تحدث السيد «باكنجهام» للمؤتمر عن نشاط الزمالة المختلطة مع (١٦٠٠٠ طالب مسلم). أن الزمالة المختلطة يقوم بها مجموعة مؤلفة من ١٣٠ طالباً بريطانياً أخذوا على عاتقهم أن يكونوا أصدقاء لطلاب مسلمين بدعوتهم إلى بيوتهم. ويستقبلونهم عند وصولهم إلى بريطانيا، ويدعونهم إلى تناول الطعام في بيوتهم كل يوم جمعة مساء.

وأن المخطط قد وضع على منشورات بسيطة تسهل قراءتها من قبل هؤلاء الطلاب لأن المنشورات الموجودة طويلة وليس لدى الطلاب وقت لقراءتها وقد أكد السيد باكنجهام أن من المهم في بداية الأمر أن نكسب ثقة الطلاب المسلمين، وألا نتحدث إليهم عن المسيحية لئلا يشمئزوا، وأكد أيضاً إنه يجب على هؤلاء الطلاب أن يعيشوا مع عائلات مسيحية كي يندمجوا معهم ويصبحوا جزءاً من العائلة.

الجزائر

يوجد في الجزائر عدة جمعيات مسيحية تبشيرية تعمل في الخفاء كأطباء ومدرسين وممرضات، وهم موظفون لدى الحكومة الجزائرية وفي مدينة طوجورت تعمل الآنسة «ماري ديفيز» كقابلة قانونية وتوجد أيضاً مديرة مدرسة

حكومية في مدينة طوجورت وهي مبشرة فرنسية تدعى الآنسة «جاكلين يونس».

والعمل قد تم بين «توارك» بواسطة الجمعية التبشيرية العامة في الشرق الأوسط مع السيد إسحاق وزوجته لعمل برامج إذاعية ودورات تعليمية بالمراسلة لتعليم الإنجيل، وهي موجهة يومياً إلى شمال إفريقيا من مرسيليا، وهناك تجاوب شديد في أواسط الجزائر، حيث إن ٢٥٪ من الطلبات تأتي من أواسط الجزائر. وهناك طلبات تقدم من طلاب يطلبون الدراسة بالمراسلة.

إن الطالب يزار من قبل مبشر مثل السيد «كوينون» من جمعية تبشيرية في شمال إفريقيا. وهناك طلبات تأتي في كل شهر يقدر عددها بـ(١٣٦٠) طلباً جديداً للالتحاق بمدرسة تعلم الإنجيل بالراديو. وهناك مواطنون جزائريون يقومون بتدريس الإنجيل. إن حكام بعض المقاطعات قد انقلبوا إلى مسيحيين، وهناك رجل عربي اسمه «توفيق الخوري» وهو أحد الأشخاص الذي يذيعون البرامج الدينية المسيحية من مرسيليا، ومن الذين يعملون في الجزائر الدكتور «دافيز» والسيد «روجيه نيوكون»، والآنسة «كنت».

مراكش

إن الجمعية التبشيرية لشمال إفريقيا تقيم مستشفى شمال إفريقيا باسم الثالوث التذكاري، وإن الحكومة المراكشية تسعى لاستلامه لتحويله إلى مستشفى حكومي. ومدير المستشفى يدعى «حنا» ويسعى للحصول على إذن له بفتح عيادة خاصة، وأن أحد الأطباء الذين يعملون في المستشفى يدعى «وليم كامبل» يأمل أن يحصل على إذن عمل في أية منطقة كانت بعد أن سحب منه إذن العمل السابق في مراكش، علماً بأن جميع البرامج الإذاعية من مرسيليا تصل لمراكش.

زنجبار

تعاني الجمعية التبشيرية صعوبات سياسية وخاصة في إدخال الإنجيل إلى المنطقة ومن الملاحظ أنه من السهل قلب الإسماعيليين[1] إلى مسيحيين.

نيجيريا

إن إحدى فروع جمعية التبشير السودانية الداخلية تعمل في نيجيريا واستطاعت أن تقلب خلال عام ١٩٥٣ ـ ١٩٥٨ من ٢٧ ألف إلى ٥٢ ألف مسلم وأن تطبع نسخاً من الإنجيل وما زال العمل مستمراً لإصدار الإنجيل من النسخ القديمة في مدينة «هوسا».

إن السيد «بطرس تورتو» من الجمعية داخل السودان يعمل مع الآنسة «سكورت» في مستشفى الجذام في شمال نيجيريا، وهي مؤسسة حكومية وهم يعملون بجد ونشاط بين القبائل، ويبلغ عدد سكانها ٢,٥ مليون نسمة واستطاعوا أن يقبلوا ستة أشخاص فقط وعدد المرضى ٢٥٠ مريضاً منهم ٢٠٠ مريض من المسلمين.

إن مايكودوي هو نيجري مسيحي تدرب في الجمعية التبشيرية السودانية ويعمل في بحيرة تشاد مع الدكتور «أفيدكارلين» بين المسلمين، والعقبة الكبرى التي تواجه المبشرين هناك تأتي من شيوخ الأزهر.

---

(١) هناك الإسماعيلية الواقفة الذين قالوا إن الإمام بعد جعفر إسماعيل نصاً باتفاق من أولاده إلا أنهم اختلفوا في موته حال حياة أبيه فمنهم من قال لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس ومنهم من قال موته صحيح والإسماعيلية الاثني عشرية: أن الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصادق ساقوا الإمامة بعده في أولاده فقاولا الإمام بعد موسى الكاظم ولده علي الرضا ومشهده بطوس ثم بعده محمد التقي الجواد أيضاً وهو في مقابر قريش ببغداد إلخ.
راجع الملل في الأهواء والنحل ١٦٩ ـ ١٩١.

أثيوبيا

هناك ثلاث جمعيات تبشيرية في أثيوبيا، جمعية البحر الأحمر، وجمعية الشرق الأوسط، وجمعية السودان الداخلية التبشيرية.

١ ـ جمعية البحر الأحمر التبشيرية: هذه الجمعية تملك مستشفى في إريتريا في المقاطعة الشمالية قرب العاصمة «اسمرا» حيث هي مكتظة بالأثيوبيين الذين درسوا في الكلية الأثيوبية للتبشير بالدين المسيحي، إن هؤلاء المواطنين يعملون غالباً مضمدين في المستشفى، وإذا نجح أحدهم يستطيع أن يعمل مبشراً مسيحياً، وإن الآنسة «جوان ماسون» والدكتور «جراهام مارتين» كلاهما يعملان كمبشرين في نفس المستشفى. . إن جمعية البحر الأحمر تشعر أن هناك خطراً كبيراً من أن تصبح المنطقة مسلمة بكاملها، والسبب يعود إلى عدم فعالية الكنيسة القبطية والتعامل مع جمهورية اليمن والمملكة العربية السعودية والتزاوج بين البنات الأثيوبيات المسيحيات وهؤلاء العرب التجار المسلمين. ومع هذا، فإن لجمعية البحر الأحمر مستشفى يعمل فيه ممرضات «مالاوجوي» «برتس» و«جوس» و«اندهلا» قامت بتعليم الدين المسيحي لثمانين طفلاً مسلماً، والآن يعدون مشروعاً لفتح مركز لمكافحة النسل لأن معالجته تأخذ وقتاً طويلاً وتكون لهم فرصة سانحة ووقت كافٍ لكي يقوموا بالتبشير بالدين المسيحي وهم يعملون بجد ونشاط لقلب أكبر عدد ممكن من الشباب في حالة استحالة وصول التبشير إلى الآباء والأمهات.

٢ ـ الجمعية التبشيرية السودانية الداخلية: تعمل على التبشير بين القبائل الرحل في إريتريا حيث يؤسسون المستشفيات التي تدار من قبل مضمدين مبشرين أثيوبيين، وإن الآنسة «رومر» تقوم على إدارته. وفي أسمرا يقومون بتدريب مدرسات في كلية يوجد فيها ٦٠٠ طالبة مسلمة حيث تدار من قبل السيد «بال» وزوجته، حيث يسمح بتدريس الدين المسيحي، وفي «كرين» تقوم

الآنسة «مان جاليد» و «بارث ريدج» بتدريس الدين المسيحي في مدرسة للتمريض والتضميد وإعداد المضمدين المبشرين.

باكستان

سمعت حديثاً عن مسلم انقلب مسيحياً اسمه «إسلام خان» من جمعية تبشيرية في لاهور حيث قال: «آن الأوان لدخول التبشير إلى باكستان، إن الأبواب ما زالت مغلقة في وجهنا لكن الأوضاع السياسية سوف تفتحها. إن الفائدة المرجوة من استعمال المستشفيات والمدارس هي الواسطة الوحيدة لنقل المسيحية».

دبي

إن السيد «كمال» يعمل مبشراً في دبي حيث صرح قائلاً وأكد: إن دبي يجب أن تكون باب الدخول إلى مكة، وإن الخليج هو الطريق الأمثل للتوغل إلى قلب الجزيرة العربية.

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

إن حاجة اليمن إلى المساعدة الصحية ماسة، ولا سيما من أي مصدر كان حتى إنهم سمحوا للجمعيات التبشيرية بفتح عدة مستشفيات قدر إمكانهم.. حيث إن الوعظ بالدين المسيحي يقام يومياً في كل قاعدة ومن الذين يعملون بالتبشير الآنسة «فيفن ريه» والدكتور «بطرس داله» وزوجته «مرغريت» كما يجب أن نستغل الظروف الاقتصادية في الوصول إلى غايتنا بسرعة.

استراليا

هناك جهود لقلب الألبانيين المسلمين إلى مسيحيين.

أفغانستان

إن عدد سكان أفغانستان (٢٠ مليون) وغير مسموح بالتبشير. رغم هذا هناك ثلاثون مبشراً موجودون تحت اسم خبراء متعاقدين مع الحكومة.

لبنان

ألقت الآنسة «ستمرز» محاضرة عن لبنان وفي المدرسة الإنجليكانية في بيروت.. إن لبنان هو مركز نشاط التبشير في كل الشرق الأوسط ويوجد فيه راديو صوت الإنجيل، إن الجمعية الإنجليكانية لكي تستغل الأوضاع السياسية لنشر التعاليم المسيحية فإنها تعمل بجد هذه الأيام، كما يجب الاستفادة من العمل الفدائي الفلسطيني.. إن الجمعية اللبنانية التبشيرية الإنجليكانية تعمل بين الدروز[1]، حتى إنهم كونوا جمعية الصداقة المسيحية لمساعدة المسلمين المرتدين إلى المسيحية بإيجاد وظائف لهم إذا لزم الأمر، وقد استطاعوا قلب الشيخ نور الدين إشرافي خريج الإزهر ولديه شهادة ماجستير في الفنون.

صور

يوجد في «صور» مدرسة بنات عدد تلميذاتها (٤٥٠ بنتاً) أكثرهن مسلمات والمديرة لبنانية مسيحية اسمها «كلين عبود»، ومن المدرسات المبشرات «باربرا عبود». إن أحد الشيوخ من البدو تزوج مفتشة مدرسة انقلبت ابنتها إلى مسيحية، وأخذت هذه المفتشة في افتتاح مدرسة لتعليم البنات المسلمات، ومن مواد برامجها الوعظ المسيحي ويقوم به «خوري» يحضر من بعلبك وإن لهذه السيدة أخاً ارتد عن الإسلام وأصبح مسيحياً وافتتح مدرسة للأولاد، رغم ذلك إن الحكومة اللبنانية لا تعلم عن هذه المواضيع شيئاً.. إن

---

(١) الدروز: هم طائفة من الطوائف الإسلامية تعرف بطائفة الموحِّدين.

التعليم المسيحي تغلغل حتى إلى مشاغل الخياطة والأعمال اليدوية.. إن الجامعة المسيحية التبشيرية مركزها الرئيسي لبنان ـ وتتصل بدورها بالمركز الرئيسي في بريطانيا، ومن العرب الذين يعملون مع التبشير السادة: قابيل سويد موسى الملاجي.

إن منشوراتهم تجد رواجاً في سوريا واليمن فقد نشروا (٨١) كتاباً مترجماً، ويوزع الآلاف من نسخ الإنجيل كل شهر، وجميع المستخدمين وعمال الطباعة مسلمون ارتدوا، إن مدرسة هنري مارتن في بيروت يعمل فيها القسيس «جويس» لكي تمتد يده إلى جميع المسلمين في شمال إفريقيا.

جمهورية مصر العربية

لقد قال السيد «كينو» للمؤتمرين إنه ما زال بعض المبشرين من جنسيات أخرى في مصر وبخاصة في ملجأ «ليليان ترامش» للأيتام في أسيوط مصر العليا، وهناك بعض المصريين أطلقوا على أنفسهم اسم أصدقاء المسيحية، والقصد من ذلك الوصول إلى الطلاب الصغار في القاهرة. وهناك مجموعة مشابهة مؤتلفة من المسيحيين المصريين تقوم بأعمال في النشاط الاجتماعي، ولا زلنا نعتبر الأزهر وشيوخه أكبر عقبة تفسد خططنا، وهم أعداؤنا الحقيقيون في كل مكان في آسيا أو إفريقيا.

إيران

يوجد في أصفهان مستشفيات انجليكانية وفي شيراز وطهران بواسطة أمريكا، كما أن السيد «كوانت هنايك» قد طرد مؤخراً لأنه تسبب في ارتداد أحد أبناء الشيوخ في مشهد، وإن بعض الجمعيات التبشيرية تعمل للتغلغل في صفوف الجيش.

سنغافورة

«سام ليوب وملت فتيدلي» يعملان هناك في محاولة لقلب المسلمين.

أندونيسيا

إن الكنيسة الإنجليكانية يعمل فيها السيد «مارتن دانتكون»، وهناك مشروع لتحويل أندونيسيا إلى دولة مسيحية، ولا بد من التعاون مع الكاثوليك لإتمام هذه المحاولة.

فلسطين المحتلة

يوجد المستشفى الإنجليكاني في الناصرة، وإن شبه جزيرة سيناء قد فتحت أبوابها على مصراعيها للتبشير المسيحي تحت الاحتلال الإسرائيلي والدولة اليهودية تساعدنا كثيراً وتفضل التعاون معنا أكثر من أي مذهب مسيحي.

مالاديفا

إن التبشير قد أخذ ينتشر في هذه الجزيرة التي يسكنها مسلمون مائة في المائة.

جنوب تايلاند

إن القوات المتحركة قد أوجدت كنيسة مؤخراً في الفترة ما بين ٨ نيسان حتى ٢٨ أيار ١٩٦٧ وذلك في إقليم فطاني الذي يتكون سكانه من المسلمين.

أمريكا وكندا

إن التبشير الإنجليكاني قائم بين السوريين واللبنانيين. كما أن العمل من قبل اتحاد الطلاب العالمي قائم بين المغتربين من جميع المسلمين.

روسيا البيضاء

إن العمل الإنجليكاني قائم في تركستان بين المسلمين.

جمهورية الصين الشعبية

لقد قضوا قضاءً مبرماً على المسلمين في المقاطعات في الشمال الغربي وإن المسلمين يجري قلبهم إلى مسيحيين.

بلغاريا

إن العمل التبشيري قائم على قدم وساق رغم أنه لم يكشف النقاب عن الأشخاص الذين يعملون هناك، ويعيش في بلغاريا أكثر من مليون من المسلمين.

اليونان ويوغسلافيا

نفس الشيء.

ألبانيا

إن المخطط بالعمل التبشيري قد وضع ولكن لم يعمل به بعد.

شرق إفريقيا

إن الاتصال بهؤلاء المسلمين بدأ منذ أيام الاستعمار الأولى ويبذل التبشير جهوداً جبارة وسط هذه الأغلبية من المسلمين.

ألمانيا الغربية

إن التبشير الإنجليكاني قائم بين الأتراك العمال، وخاصة على يد السيد «كوزمادوس» ففي ألمانيا الغربية مئات الألوف من العمال المسلمين.. من إيران وتركيا وألبانيا.

الأردن

أفادت الآنسة «تيزيون» أن التشجيع على الاتصال قائم ولا سيما بين اللاجئين الفلسطينيين وخاصة النازحين من غزة، والفرصة متاحة للتبشير وسط اللاجئين المسلمين.

فرنسا

إن «كريستون فرمير» يقوم بالتبشير بين ثلاثمائة ألف مسلم من العمال القادمين من شمال إفريقيا.

بريطانيا

توجد مخططات لكي يتم الاتصال بالمسلمين الباكستانيين المهاجرين ويعملون كعمال، بواسطة الآنسة «رونفورد» التي تقوم بدور الاتصال بين المسلمين القادمين من بلاد الكومنولث.

* * *

أصحاب الفضيلة والسماحة علماء الإسلام

هذا هو نص التقرير ترجمناه عن أصله الإنجليزي مع حذف التوقيعات التي وردت في نهايته.

والذي أريد أن أقرره وأقوله:

أولاً: إن التبشير يهدف إلى غاية خطيرة تتمثل في هذه الهجمات الشرسة التي يقوم بها في العالم الإسلامي كله، وأن هذه الهجمات قد خطط لها من زمن بعيد على نحو ما ورد في كتاب «الغارة على العالم الإسلامي»، الذي ظهر وطبع منذ خمسين سنة.

ثانياً: إن تقصير المسلمين تجاه إخوانهم المنكوبين وتخليهم عن واجبهم تجاه ما يتعرضون له من المحن والنكبات يتيح لهؤلاء المخربين الفرص لضرب الإسلام في معاقله والتشكيك في الرابطة الإسلامية بين شعوبه.

ثالثاً: إننا نستطيع بالتعاون المنتظم بين الشعوب الإسلامية والجماعات الإسلامية العاملة في هذه الشعوب، أن نفسد هذا المخطط ونكشف هذه المؤامرات. ولا يتم ذلك إلا بالعطاء والبذل والتضحية بالقليل من الأموال والمساعدات.

رابعاً: إننا لا ننكر أن لمصر والمملكة العربية السعودية والكويت ودولة الإمارات مواقف نبيلة تجاه المنكوبين المسلمين في شتى بقاع العالم ولكن هذا المؤتمر يستطيع أن يخطط لعمل إسلامي موحد يتم بمقتضاه دراسة الأحوال، وتقديم المساعدات والتصدي لكل المحاولات الهدَّامة ضد الإسلام والعالم الإسلامي.

خامساً: إن الدعوات التي تنطلق هنا وهناك داعية إلى التفاهم بين المسلمين(١) وغيرهم من أصحاب العقائد والديانات لن يكتب لها النجاح، ما لم يتوقف أصحاب هذه العقائد عن حملاتهم المسعورة ضد الإسلام وشعوبه، ويقدموا الدليل الواضح على صدق هذه الدعوة بالتفاهم والحب، لا بالبغضاء والكراهية وسوء النية والتناقض الواضح بين أقوالهم المعلنة وأعمالهم الخفية.

سادساً: إن الأزهر كما يتضح من هذا التقرير خطر كبير على أعداء الإسلام في كل الدنيا، فعلينا أن نعمل على تقويته وإعلاء شأنه وإحاطته بكل أنواع الرعاية والإعزاز والمساعدة.

---

(١) لقد فصل القرآن الكريم في هذه القضية عندما قال تعالى: **﴿لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين﴾** [الكافرون: ٢ ـ ٦] وإذا قال الله تعالى فلا مجال لقائل.

سابعاً: لا بد من الإسراع في إنشاء صندوق خاص للدعوة الإسلامية تتجمع فيه كل أنواع التبرعات والزكوات والمساعدات ـ حكومية أو شعبية ـ وأن يكون لهذا الصندوق مجلس إدارة تمثل فيه كل الشعوب الإسلامية وتتكون له فروع في كل الأقطار القادرة على الإسهام في هذه القضية المقدسة[١].

وأخيرا

فإني أدعو الله أن يبارك عملكم ويجمع كلمتكم ويوفقنا وإياكم لما فيه خير الإسلام[٢] والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

---

(١) العجيب في الأمر أبعد مضى أكثر من سبعة عشر عاماً على هذه الدعوة لم يفكر أحد أو دولة أن ينقل هذا الاقتراح إلى دنيا الواقع.

(٢) المصدر السابق، المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية، جـ٢، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

قال «وليم جيفورد»:

«متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا «محمد» وكتابه»[1].

ونقول: مَنْ يصدق ما يقوله هذا الدعيُّ؟ أليس أتباع محمد ﷺ هم الذين صنعوا الحضارة في بلاد الأندلس... في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش في ظلام دامس؟

ألا يعلم «وليم جيفورد»،

أن أبناء أوروبا كانوا يتوافدون على بلاد الأندلس لتلقي العلوم والمعارف، ومن هؤلاء الذين ذهبوا إلى علماء المسلمين وتلقوا العلم على أيديهم، استطاعت أوروبا أن تخرج من ظلام الجهل إلى ما تنعم به الآن من حضارة وتقدم..؟

وقد سبق للقسيس المبشر «زويمر» أن ألَّف كتاباً سماه «مهد الإسلام» وفي هذا الكتاب يقول «زويمر»:

«إنه يقوم بإحصاء الجمعيات التبشيرية في «جزيرة العرب»، بعد أن وضع لها خطة تضمن لجهودها النجاح في تنصير المسلمين وإخراجهم من دينهم.»

(١) راجع أفيقوا أيها المسلمون، ص ٤٣.

وفي مناقشة «زويمر» لتقرير أحد المبشرين الذين يعتمدون في تبشيرهم على الطب أنكر على هذا المبشر إغفاله ذكر المدارس وما لها من تأثير قوي في هذا المجال.

لأن المدارس في رأى «زويمر» من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين ونشر دعوتهم بين أبناء وبنات المسلمين.

ويقول أيضاً: إنه جمع تلاميذه المسلمين مرة، ووضع بين أيديهم «كرة» تمثل الكرة الأرضية، ثم سلط عليها نوراً قوياً وبرهن لهم بذلك على أن الأمر بصيام شهر رمضان ليس آتياً من عند الله... لأنه يتعذر أداء الفريضة في بعض البلاد[1]؟

وما يقوله «زويمر» عن الإسلام ينطبق على المسيحية، إذ كيف يتأتى لأتباع المسيح أن يصوموا جميعاً ٤٥ يوماً وهذا متعذر بالنسبة للكرة الأرضية..؟

إن كلامه هذا يدل على أنه لا يؤمن بالمسيحية، ولا يقبل الإسلام ويرفض الأديان جملة، وإلا ما كان يلجأ إلى هذا التدليل الخبيث والذي يصور فيه تعذر صيام شهر رمضان؟

إن صيام هذه الفريضة يحدث في أركان الأرض الأربعة فالمسلمون في الصين يصومونه كما يتم صيام من في أمريكا، ويصومه المسلمون في روسيا كما يصومه أتباع الرسول ﷺ في الهند.

إن «زويمر» يدَّعي أنه أرسل قوافل التبشير إلى كل شبر من الأرض يسكنه أتباع الإسلام، فهل أخبره أحد من هؤلاء أنهم لا يستطيعون صيام شهر رمضان لأن ذلك ليس في الإمكان..؟

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٣.

أم أنه التضليل والسفسطة والهرطقة التي لا تقف عند حد..؟

وإذا تركنا «زويمر» وافتراءاته وأردنا أن نستمع إلى «المونسنيور كولي» في كتابه «البحث عن الدين الحق» فنراه يقول:

«الإسلام في القرن السابع للميلاد: برز في الشرق عدو جديد حيث أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب.

ولقد وضع محمد السيف على أيدي الذين اتبعوه وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق.

ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب.

ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات..؟

وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقيا واسبانيا فريسة له، حتى إيطاليا هددها الخطر، وتناول الاجتياح نصف فرنسا.

لقد أصيبت المدنية بكارثة.

ولكن هياج الأشياع «المسلمين» تناول في الأكثر «كلاب النصارى»».

مَنْ يصدق هذا الكلام الذي يقوله هذا الأفاك؟

ومَنْ يصدق أن أصحاب الرسول ﷺ انساقوا وراء الفجور والسلب..؟

لقد كان أتباع محمد ﷺ العقل الجديد الذي فرق بين الحق والباطل، لقد كان الرجال ينبعثون في كل أعمالهم من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتها.

إذا سلوا السيف سلوه بقانون.

وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون.

تقدموا إلى الدنيا وهم يحملون السلاح، والأخلاق قوية في ظاهرها وباطنها فمن وراء أسلحتهم أخلاقهم، وبذلك تكون أسلحتهم نفسها ذات

أخلاق، لهذا كان القانون ـ قانون الأخلاق ـ هو المسيطر عليهم في كل معاركهم الحربية حتى والاشتباكات على أشدها، والسيوف تحصد الرقاب وتجندل الأبطال . . من ذلك أن الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ تمكن في إحدى المعارك من الهجوم على جندي من الأعداء وألقى به من على فرسه إلى الأرض، وتناول سيفه ليحز به رأسه، ولكنه لم يفعل، وتركه سليماً معافى لم يمس، وكان يشاهد ذلك بلال ـ رضي الله عنه ـ فقال له:

«يا عليّ، كيف تترك عدو الله ولا تقتله وهو بين يديك؟

فقال الإمام علي: يا أخي يا بلال لقد بصق عدو الله في وجهي فخشيت أن أقتله فأكون قتلته غضباً لنفسي لا لله».

وصدق القائل: إن سيوفهم نفسها ذات أخلاق.

هؤلاء المسلمون الذين يفعلون ذلك يصفهم «هنري جيسب» المبشر الأمريكي بقوله:

«المسلمون لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها، إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون، وإن التبشير سيعمل على تمدينهم».

ونسأل هذا الرجل ونحتكم إلى ضميره: هل المسلمون فعلوا كما فعلت أمريكا من إبادة شعب «هيروشيما»؟ هل حدث أن المسلمين أحرقوا بلداً آمناً بما فيه وبكل ما فيه من رجال ونساء وأطفال؟

هل فعل المسلمون كما كانت تفعل روسيا من تدمير مناجم الفحم على رؤوس المسلمين وإبادة الآلاف منهم؟

هل فعل المسلمون كما فعل أتباع الصليب في البوسنة والهرسك من إبادة شعب مسلم بأكمله؟

ويقول «جوليمين» في كتاب «تاريخ فرنسا»:

«إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه هو.

«ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين «المسلمين» وبين النصارى، إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: أسلموا أو موتوا بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم؟

«ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن كنا مسلمين كالجزائريين والمراكشيين».

وهكذا المسلمون متأخرون ولصوص وقتلة.

وهكذا رسولهم سارق ومحرق فيما سرق.

وهكذا الإسلام دين السيف وليس الإيمان، هو دين مادي وليس ديناً روحياً إنه يسمح لأتباعه بالفجور والسلب والقتل.

ونقول: مَنْ همس لهذا الأفاك بهذه الكذبة البلقاء أن المسلمين وثنيُّون؟

المسلمون الذين يؤمنون بالواحد الأحد الفرد الصمد وثنيون؟

المسلمون الذين حطموا الأصنام في كل أرض نزلوا فيها وثنيون..؟ المسلمون الذين نزهوا الخالق المبدع من أن يكون له زوجة أو ولد يصفهم هذا المخنث بأنهم وثنيون؟

وإذا كان المسلمون كذلك فمن هم الموحدون الأبرار الأتقياء؟

أيكون الذين يجعلون الإله ثلاثاً؟

أيكونون الذين يقولون: إن المسيح ابن الله؟

وإذا لم يكونوا هم أيكون الموحدون هم اليهود الذين يقولون: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ

قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

أيكون أصحاب عقيدة التوحيد اليهود الذين قالوا لنبيهم: ﴿﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾﴾ [البقرة: ٥٥].

قاتلهم الله أنَّى وجدوا.

و: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ٥] وأما عن السيف فيقول الدكتور عبدالودود شلبي: إنهم ينافقون ويدلسون بكلمة السيف الذي لم يرفعه المسلمون إلا دفاعاً عن حق أو قهراً لباطل غشوم مستبد. ولسنا هنا بصدد المقارنة بين «سيف الإسلام الذي تحول إلى خشب أو إلى عصا يتكئ عليها الخطيب إذا خطب.. وبين سيفهم الذي تحول إلى قنابل ذرية[1] هيدروجينية والذي يقتل بضربة واحدة عشرات الملايين من الضحايا في آسيا وإفريقيا.

---

(١) راجع كتاب: أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، د. عبدالودود شلبي، مصدر سابق، ص ١٢٦.

إن مناهجهم وأساليبهم لتحقيق أغراضهم تكاد تتلخص في الآتي:

١ ـ المدرسة ـ بكل أنواعها ودرجاتها.

٢ ـ الجامعة بكل تخصصاتها وتنوعاتها.

٣ ـ الندوات والمحاضرات.

٤ ـ أندية الرياضة وأماكن التجمعات.

٥ ـ بيوت الشباب وما يدور بين دهاليزها.

٦ ـ الكتاب.

٧ ـ الصحافة.

٨ ـ وسائل الإعلام بأنواعها المرئية والمسموعة والمقروءة.

٩ ـ المصحات والمستشفيات، ودور الثقافة.

ويقدم لنا الدكتور عبدالودود شلبي ثبتاً مطولاً بالأماكن التي يزاولون فيها أساليبهم لزحزحة المسلمين عن دينهم فيقول:

«إن من أشهر المؤسسات التعليمية في الشرق العربي جامعة القديس يوسف في لبنان وهي جامعة بابوية كاثوليكية وتعرف الآن «بالجامعة اليسوعية»، والجامعة الأمريكية ببيروت التي كانت من قبل تسمى «الإنجيلية في بيروت» وفي هذه الجامعة كان يدرس الطلاب المسلمون من مصر والسودان وليبيا والكثير من أبناء الدول العربية.

وكان بين هؤلاء الطلاب طالب سوداني محافظ على أداء فرائضه الدينية. وفي أحد الأيام، وهو يتوضأ، لاحظه أحد المدرِّسين في هذه الجامعة وهو يغسل قدميه، فصاح فيه غاضباً كيف تغسل قدميك في حوض نغسل فيه وجوهنا. . .

فقال له الطالب السوداني: «كم مرة تغسل وجهك في اليوم. .؟».

قال الأستاذ الأمريكي: مرة واحدة في كل صباح طبعاً.

فقال له الطالب السوداني:

أما أنا فأغسل رجلي على الأقل خمس مرات في اليوم، ولك أن تحكم بعد ذلك أيهما أكثر نظافة، رجلي أم وجهك. .؟[1].

الإعداد لمؤتمر أمريكا الشمالية عام ١٩٧٤ التبشيري

يقول الدكتور عبدالودود شلبي:

في عام ١٩٧٤ عقدت الكنائس «البروتستانتية» مؤتمراً في مدينة «لوزان» بسويسرا، واتفقوا في هذا المؤتمر على أن المسلمين يشكلون أكبر مجموعة بشرية يجب أن تتجه إليها جهود التبشير.

ولقد تساءلوا في هذا المؤتمر. . . لماذا لم يتم حتى الآن تنصير المسلمين كما يجب وبصورة أحسن؟

وكان «دون. ملك كري» رأس الحية في هذا المؤتمر وهو بروتستانتي، عمل مبشراً في باكستان لمدة عشرين سنة.

وهو أحد طلبة مدرسة «فلر» للتبشير العالمي، وقد عرض «ملك كري» في

(١) المصدر السابق، ص ٥١.

هذا المؤتمر اقتراحاً قدمه الدكتور «بيسرا واجنز» عن مدرسة «فلر» المذكورة، وكان هذا الإقتراح هو الدعوة إلى مؤتمر أوسع وأكبر يعقد في أمريكا الشمالية باسم مؤتمر تنصير المسلمين في العالم.

وقد تمت الموافقة على الفور على هذا الاقتراح، وتولى المركز العالي للأبحاث والتبشير في «كاليفورنيا» عبء تقديم التمويل والمكاتب والأشخاص اللازمين للإعداد للمؤتمر والتأكد من تهيئة عوامل النجاح له.

وكان قرار مؤتمر «لوزان» أن يكون المؤتمر المقترح عملياً تنفيذياً يغير سياسة التاريخ ووجهته، على حد تعبيرهم، ولا يكون على غرار المؤتمرات الأخرى التي تجمع أعضاء المؤتمر ثم تناقش وتصدر التوصيات ثم لا تعدو أن تنفض.

* * *

خطة العمل للمؤتمر

ولقد بدأ المنظمون لهذا المؤتمر بتقديم الاقتراحات لوضع خطة العمل، فتم الاتفاق على الشروط والمواصفات التي يجب توافرها في كل مَنْ سيشارك في هذا المشروع الخطير... ليتم بعدها اختيار المشتركين بكل دقة وحذر حتى يتم تحريكهم طبقاً للخطة الموضوعة.

كما تم الاتفاق على أربعين ورقة عمل قدَّمتها المؤسساتُ المعنية.

عقد المؤتمر

وبعد تحضير طويل وإعداد مدروس عقد المؤتمر في ولاية «كولورادو»، وقد حضره مائة وخمسون مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التبشيرية في الجامعات والكنائس، والمؤسسات «البروتستانتية»، ولم يسمح بالحضور إلا لأولئك الذين

وافقوا والتزموا بقراءة الأربعين بحثاً الخاصة بالمؤتمر، ثم كتابة آرائهم عن كل بحث وإرسالها للجنة المشرفة على المؤتمر.

وفي ١٥ أكتوبر ١٩٧٨ عقد المؤتمر، واستمر أكثر من أسبوعين، وكان مؤتمراً مغلقاً على خلاف المؤتمرات الأخرى، ولم يسمح لغير المشتركين فيه بحضور جلساته، وكان اسمه الرسمي: «مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين».

وقد انتهى المؤتمر بوضع استراتيجية شاملة ذات أهداف معينة، يتم تنفيذها في أوقات زمنية محددة في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي هدفها تنصير المسلمين وتحريف عقيدتهم وتغيير الأنظمة الاجتماعية والسياسية في بلدانهم.

وقد قال «دون. مك كري» في كتابه: إن الاستراتيجية التي وضعها المؤتمر ستبقى سرية لخطورتها.

* * *

بحوث المؤتمر

وقد قدم المؤتمر أربعين بحثاً شملت جوانب نظرية ودراسات ميدانية حول جميع أجزاء العالم الإسلامي دون استثناء حتى الأقليات المسلمة، حتى هؤلاء المسلمون الموجودون في أمريكا شملتهم بحوث خطة الغارة الجديدة عليهم.

* * *

الجوانب النظرية في استراتيجية المؤتمر

من الدراسات التي تناولت الجوانب النظرية والعملية الآتي:

١ ـ الإنجيل والثقافة.

٢ ـ التبليغ الشامل للإنجيل وتقديمه للمسلمين.

٣ ـ شهادة تجسيد المسيح إلى قلب المسلم المتنور وثقافته (أي المرتد عن الإسلام).

٤ ـ الكنائس التعادلية الديناميكية في المجتمع.

٥ ـ صدام القوة في تحويل المسلم عن دينه.

٦ ـ الإحاطة والأصالة والتحويل.

٧ ـ محاولات نصرانية جديدة لتنصير المسلمين.

٨ ـ مقياس إنجيلي للمسلمين.

٩ ـ تحليل مقاومة واستجابة الشعوب الإسلامية.

١٠ ـ الصدام النصراني الإسلامي وكيف يحل.

١١ ـ الدراسات الإسلامية حدود وجسور.

١٢ ـ الإسلام.. جوع القلب.

* * *

الدراسات الميدانية التي ألقيت في المؤتمر

كما أن استراتيجية المؤتمر شملت دراسات ميدانية من أهمها:

١ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام في الغرب.

٢ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام في صحراء إفريقيا.

٣ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام في إفريقيا الشمالية.

٤ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام في الشرق الأوسط.

٥ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام في تركيا.

٦ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام في إيران.

٧ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام في شبه القارة الهندية.

٨ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام في جنوب شرق آسيا.

٩ ـ الوضع المقارن بين النصرانية والإسلام في روسيا والصين.

١٠ ـ الوضع المقارن للأدب النصراني للمسلمين.

الوسائل العملية للمؤتمر

كما تناولت بحوث المؤتمر الوسائل العملية لتنفيذ مخططهم وهي كالآتي:

١ ـ الوضع الحالي لترجمات الإنجيل إلى لغات المسلمين.

٢ ـ الوضع الحالي لبث الإذاعة للشعوب الإسلامية.

٣ ـ نظرة الإرساليات الفاحصة إلى المسلمين.

٤ ـ بيلوغرافيا مختارة للعالَمَيْن: النصارى والمسلمين.

٥ ـ الدعوة إلى التجدد الروحي.

٦ ـ تطور الآلات الحديثة واستغلالها لدعم تنصير المسلمين.

٧ ـ مستوى أساليب ومراكز برامج التدريب.

٨ ـ إنشاء شبكة مراكز البحث.

٩ ـ أسلوب وقيمة إستراتيجيات التخطيط.

١٠ ـ شبكة المخيمات التبشيرية في البلاد الإسلامية.

١١ ـ ضرورة إنشاء مركز عصبي للشمال الأمريكي.

١٢ ـ التبشير والمكالمة.

١٣ ـ صلات أمريكا الشمالية بإرساليات العالم الثالث.

١٤ ـ ضرورة إصدار صحف جديدة حول الإرساليات الموجهة للمسلمين.

* * *

سلاح الغذاء والصحة

ومن أبحاث المؤتمر: استخدام الغذاء والصحة كعنصرين في تنصير المسلمين وذلك بتقديم المعونات الغذائية للأسر الفقيرة والتأثير عليها، وتقديم العلاج عن طريق المستشفيات والمستوصفات التبشيرية.

الكنائس المحلية

ومن دراسات المؤتمر «دور الكنائس المحلية في تنصير العالم الإسلامي»، فقد خطط المؤتمر للتعاون مع الكنائس المحلية لتنصير المسلمين في البلاد التي بها هذه الكنائس المحلية.

الأسرة المسلمة

ومن الأبحاث التي لم يغفل عنها المؤتمر محاولة الاتصال بالمرأة المسلمة والعائلة المسلمة.

فقد عرف هؤلاء المؤتمرون أن المرأة المسلمة أساس الأسرة المسلمة، وهي وحدة المجتمع الإسلامي، فهم يعملون على إفساد المجتمع بإخراج الأسرة المسلمة من إطارها الإسلامي إلى الإطار الغربيّ الصليبي.

أرصدة المؤتمر

لقد تجنب هذا المؤتمر الإعلام والإعلان واتجهوا إلى التنفيذ والعمل،

ولقد وضعوا لهذه الخطة ميزانية مقدارها ألف مليون دولار. وقد تم جمع هذا المبلغ فعلاً وتم إيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى.

* * *

مركز عصبي للمبشرين

وبدأ المؤتمر في تنفيذ قراراته بإنشاء «معهد صموئيل زويمر» كمركز عصبي، على شكل معهد كبير خاص بالبحوث والترتيبات المتعلقة بتنصير العالم الإسلامي ويدير هذا المعهد «دون ملك كري» وهذا المعهد بخلاف «دار الدراسات والنشر».

والمعهد والدار في ولاية «كاليفورنيا»(١).

ونتساءل: ماذا فعل المسلمون أمام هذه الهجمة الشرسة التي شنها علينا التبشير بكل أسلحته؟

هل وضعت خطة مدروسة أمام هذا التيار الجارف؟

هل عقد مؤتمر واحد يقول للمسلمين: ويحكم هبوا لإنقاذ إخوانكم من المؤامرات التي تحاك لهم؟

لقد وقفت في العصور الوسطى للإسلام فتاة واحدة تطلب النجدة والحماية، من عبث بعض أبناء أتباع الصليب وقالت كلمتها المشهورة.. وامعتصماه، وامعتصماه، وامعتصماه.

وما كاد الخليفة المعتصم تصل إلى مسامعه هذه الكلمة حتى هبت جيوشه الجرارة لإنقاذ هذه الفتاة، وتأديب تلك الفئة الباغية من أتباع الصليب.

---

(١) راجع أفيقوا أيها المسلمون، ص ٨٦.

فمن المعتصم الجديد الذي يحمي أعراض المسلمات اللاتي تغتصب في كل وقت وحين..؟

من المعتصم الجديد الذي يحمي بلاد المسلمين من النهب والسلب..؟

من المعتصم الجديد الذي يعيد للإسلام مجده..؟

من يا جماعة المسلمين..؟

أعقمت الأمهات أن يلدن أمثال سيف الدين قطز، والمعتصم، وصلاح الدين الأيوبي ومحمد الفاتح..؟

لا.. محال أن يكون ذلك.

وأنا ألمح قوتهم الضاربة وهم على الأفق مقبلون.

ويومئذ يفرح المسلمون بنصر الله ينصر من يشاء.

* * *

١ ـ يحاول التبشير أن يدخل في روعنا أنه لا يمكن للعالم الإسلامي أن يتقدم صناعياً وتكنولوجياً إلا إذا ابتعدنا عن ديننا، وحصرناه في داخل المساجد، كما أنهم لم يتقدموا إلا بعد أن ابتعدوا عن دينهم، ونسوا أن الذي ابتعدوا عنه ليس ديناً سماوياً.

ليس هو وحياً إلهياً.

إنما هو بعض الأباطيل والأضاليل من صنع رهبان الكنيسة، وقساوسة الأديرة الذي وقف حجر عثرة أمام تقدمهم واكتشافاتهم.

بخلاف الإسلام دين الله الحق والذي قال عنه منزله:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال أيضاً:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وهذا الدين دعوة إلى العلم والمعرفة. يقول الله تعالى لأتباع خاتم رسله: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

ويقول أيضاً:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

٢ ـ يرفع التبشير في بلاد الإسلام شعارات براقة. . يهدف من ورائها أن نجتمع تحت لوائها ونتجاهل الإسلام.

عندها يحصل التنافر، والتطاحن بين أبناء الأمة الواحدة، ومن الشعارات التي ينادي بها أتباعهم وأذنابهم:

القومية العربية والوطنية الإقليمية، والآسيوية تارة، والإفريقية أخرى، والعلمانية بعد ذلك.

٣ ـ يأتي إلينا من وراء السهوب والحدود المبادئ الهدامة، والأعراف المتنافرة ومناهج متباينة في السياسة والاقتصاد، والاجتماع والأخلاق والتعليم والإعلام، وهذه الأشياء تخالف عقائدنا وشرائعنا فهي مرة اشتراكية، ومرة علمانية، وثالثة شيوعية، ورابعة رأسمالية، وغير ذلك كثير مما يدعو إلى الحيرة ويجعل النفوس تتخبط كالذي يتخطبه الشيطان من المس.

٤ ـ يتخذ التبشير لهم صنائع وعملاء من أبنائنا يتكلمون بألسنتنا ويتزيّون بزيّنا، ويقومون بما يريد الأعداء وهم متسترون خلفهم يفسدون ولا يصلحون، ويخربون ولا يبنون، ويحاولون بكل ما عندهم من جهل إبعاد المسلمين عن إسلامهم.

٥ ـ يعمل التبشير على إفساد شبابنا وفتياتنا عن طريق الإذاعات الموجهة، والصحافة والتبشير بآخر ما أخرجه العقل البشري من أساليب الشيطان، وإذا فسدت أخلاق الأمم فسدت عقيدتها فتصبح كما كانت الجاهلية الأولى، والتي عبر عنها المغيرة بن شعبة أمام عامل كسرى بقوله:

«نحن أناس من العرب كُنَّا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد، والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينما نحن

كذلك.. إذ بعث رب السموات ورب العرش تعالى ذكره، وجلت عظمته إلينا نبياً من أنفسنا»[1].

٦ ـ يحاول التبشير خلق الفتن بين الرعية والحاكم، وبين الشعوب الإسلامية كي تشتعل العداوة بين المسلمين، وينشغلوا بمعاركهم الداخلية عن أنفسهم، والقرآن الكريم حذرهم من بغاة الفتنة الذين يريدون في الأرض فساداً قال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

ويقول الرسول ـ ﷺ ـ:

«المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[2].

٧ ـ يعمل التبشير على إيجاد صداقات مع الأقليات في البلاد الإسلامية وتقديم العون للمعارضة، ويشد من أزرها إذا كانت ضعيفة حتى إذا تسلقت إلى الحكم كان للتبشير عندها اليد التي يطالب بردها عن طريق تنفيذ مناهجه في دولة الإسلام.

٨ ـ يعمل التبشير على احتواء شبكات الاستخبارات في بلاده للاستعانة بها في تسهيل مهماته في بلاد المسلمين.. كما أن التبشير يستعين بالجنس والمخدرات، وكل وسائل الإغراء إذا لزم الأمر.

٩ ـ يعمل التبشير جاهداً على تواجده في الأندية، والجمعيات، وبث روح الفرقة والتنازع بين الرفقاء، وتزكية روح التنافس على حيازة المرأة،

---

(١) راجع: فتح الباري، شرح صحيح البخاري ٦: ١٩.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الصلاة ٨٨، والمظالم ٥، ومسلم في البر ٦، والترمذي في البر ١٨، والنسائي في الزكاة ٦٧، وأحمد بن حنبل فيا لمسند ٤: ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٩.

واتخاذها سلاحاً لا يقهر في تليين صلابة بعض الرجال أو المحاولة للتهوين من عوامل الهداية في نفوسهم.

١٠ - إنشاء الإذاعات الموجهة، بغية إرسال توجيهاتهم عبر قنواتها والاستعانة برؤوس الأموال في فتح الأبواب المغلقة، والتحايل على شراء الذمم ووضع أيديهم على أصحاب النفوس في البلاد.

١١ - استخدام الأقليات غير الإسلامية للتجسس وتكوين الأحزاب، وإقامة الجميعات، وأندية الروتاري، والدعوة إلى تحرير المرأة، وإفسادها، وتبغيضها في الحمل والولادة، وإغرائها عن طريق دغدغة عواطفها وإطراء جمالها، ومحاولة، إغرائها بالانصراف عن بيتها إلى أماكن الإغواء والرذيلة، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقوله تعالى:

﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

١٢ - حرص التبشير على إنشاء المدارس والمستشفيات التي تقوم بالتبشير والترغيب في الدخول إلى النصرانية، أو على الأقل الانسلاخ من الإسلام. ولقد قدمنا فيما سبق ما تفعله مدارس التبشير في الوطن الإسلامي والمبالغ الطائلة التي تصرف في سبيل هذا الغرض، وقد خدع الكثير من أغنياء المسلمين فحرصوا على إدخال أولادهم وبناتهم إلى تلك المدارس والجامعات حتى يخرجوا وهم صور مكررة من هؤلاء المبشرين[١].

---

(١) راجع كتابنا المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها.

١٣ ـ يعمل التبشير على عقد المؤتمرات واللقاءات الفكرية، والتي تهدف إلى تغيير مفاهيم الإسلام الصحيحة مثل مؤتمرات زمالة الأديان، والعديد من المؤتمرات التي عقدت في القاهرة، وتونس، والخرطوم وغير ذلك من بلدان العالم الإسلامي.

١٤ ـ تشجيع الدراسات الاستشراقية التي تمارس تحت ستار العلم وهي ـ والحق يقال ـ متخصصة في المكر والكذب، وبث السموم ومحاولة النيل من الإسلام ونبيه ـ ﷺ ـ وتشويه مبادئه في صورة معتنقيه.

١٥ ـ يعمل التبشير والاستشراق على تبني المنحرفين فكرياً، والذين يسيرون على خطى الاستشراق، والإشادة بهم، ودعوتهم لمؤتمراتهم، والإغداق عليهم والتوسط لدى حكوماتهم، لتقليدهم المناصب الهامة في الدولة، وقد تناولنا هذه الموضوعات فيما سبق بالشرح والتفصيل.

١٦ ـ العمل على إحداث الانقلابات العسكرية في الوطن الإسلامي وإيهام أصحابها بأنهم لو تخلوا عنهم لمزقتهم الشعوب بين عشية وضحاها، ومن أوائل هذه الانقلابات في العالم الإسلامي الانقلاب الذي قام به مصطفى كمال أتاتورك والقضاء على الخلافة الإسلامية، ثم توالت الانقلابات بعد ذلك في تونس، ومصر، والسودان، والعراق، وأفغانستان، وباكستان وغير ذلك من الدول الإسلامية.

١٧ ـ يعمل التبشير على استغلال أبناء المسلمين المنبعثين إلى أوروبا بمحاولة عملية غسيل المخ، والتي تعني: حث الفرد على التخلي بطريقة متطرفة عن عقائده وأساليب سلوكه السابقة، وأن يتبنى تلك الأفكار الجديدة التي يغرسها فيه الشخص أو الهيئة، وطبقاً لتعريف إنجلش: إن هذا المصطلح يتضمن العمليات التي بموجبها يتم تغيير اتجاه الفرد وسلوكه.

١٨ ـ إشغال نساء المسلمين وأبنائهم بالموضوعات والرياضات وما يخرجه الفنانون والفنانات من تمثيليات ومسرحيات عن طريق المسارح ودور السينما، أو تسجيلات الفيديو وخلافه، والمسلم مطالب أن يطلب معالي الأمور ويترك سفاسفها.

١٩ ـ يوصي التبشير حكومات الغرب بنهب المواد الخام من الوطن الإسلامي وذلك كالقطن من جمهورية مصر العربية، والبترول من دول الخليج والمعادن من الهند، والفوسفات من الجزائر، وذلك لتصنيعها وبيعها مرة أخرى إلى تلك البلاد بأثمان باهظة.

هذا بالإضافة إلى إغراق الأسواق الإسلامية بالتوافه والكماليات، وحجب أبناء المسلمين من تعلم الصناعات الدقيقة، في حين أن الإسلام يحث أتباعه على تعلم هذه الصناعات، وأشار إلى ما في الحديد والخامات الأخرى من قوة وفوائد وأنزل سورة كاملة وسماها بسورة الحديد وقال فيها سبحانه وتعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فلماذا لم يستفد المسلمون من هذه الخامات؟

لماذا قدموها لقمة سائغة للغرب؟

إن الله سبحانه وتعالى قال لهذه الأمة الوسطى التي تحمل آخر الرسالات السماوية إلى البشرية كلها:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وهل يكون إرهاب بغير القوة.

إن كل أدوات القتال قديماً وحديثاً من السيف إلى تفجير القنبلة الذرية قائم على صناعة الحديد أو ما يرتبط بها.

فهل لو استمع المسلمون إلى أوامر ربهم يصبح هذا حالهم.. حالهم المشين الذي صاروا إليه؟، إنهم يعيشون في هذه الحياة، ولا يسمع أحد لكلامهم إن قالوا ولا يرهبهم العدو إن هددوا.

ولا يستطيعون الحفاظ على أرضهم وهي تنهب منهم في كل وقت وحين، فمتى يعود المسلمون إلى كتاب ربهم يستلهمونه الهدى والرشاد؟ متى يحدث ذلك؟ إنا لمنتظرون..

٢٠ ـ يعمل التبشير على تصدير النظريات المنحرفة إلى بلاد المسلمين. لقد صدروا لنا نظرية «ماركس».

تلك النظرية التي ترفض الأديان جملة، وتعتبر أن الدين مخدر للشعوب وتقرر في دوائر معارفها: أن قرآن المسلمين صناعة بشرية، ألفه محمد وأبو بكر، وعثمان ـ رضي الله عنهم.

وصدروا إلينا نظرية «داروين» الذي يقول بصراحة: إن ذلك ـ أي تفسير شئون الحياة بوجود خالق له إراده في الخلق ـ يكون بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع مكانيكي بحت.

وإذا كان هذا ما يقوله «داروين»، فإن الفيلسوف هنري برجسون يدفع ما يدعيه هذا الملحد بقوله:

«لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة»[1].

بل إن البشرية في تاريخها الطويل الممتد في القدم وجد فيها الواحد بعد

---

(١) راجع مجلة تراث الإنسانية، جـ١، ص ٧٣.

الواحد الذي اهتدى إلى التوحيد الخالص، وساير فطرة الله التي فطر الناس عليها.

وفي التاريخ اليوناني القديم كان «أكزنوفنس» يقول: إنه لا يوجد غير إله واحد، هو أرفع الموجودات، ليس مركباً على هيئتنا، ولا يفكر مثل تفكيرنا بل كله بصر، وكله سمع، وكله فكر[1].

وهذا الذي قاله «اكزنوفنس» قاله آحاد غيره قبل مبعث الرسالات والرسل، قاله رجال من فارس قبل أن ينحرفوا إلى القول بالتثنية.

وقاله رجال من الهند قبل اتجاههم إلى السلبية.

واهتدى إليه «أخناتون» في مصر القديمة، فقد ذكر أنه قال بالتوحيد وآمن بالبعث والنشر.

وصدّروا لنا نظرية «فرويد» الكريهة المبنية على العشق الجنسي الذي يحسه الأولاد نحو أمهم.

وعن طريق هذه الأسطورة يبني جذور الديانات التي عرفتها البشرية في تاريخها الطويل.

تقول الأسطورة:

«ذات يوم في الماضي السحيق الموغل في الظلمات ارتكبت البشرية جريمة مروعة، وهي: أن الأولاد أحسوا برغبة جنسية نحو أمهم، ولكنهم وجدوا أباهم حائلاً دون الوصول إلى هذه الشهوة فقرروا أن يقتلوا أباهم ليخلوا لهم الطريق وبالفعل قتلوه.

---

(١) راجع قصة الإيمان ـ بين الدين والعلم والفلسفة ـ للشيخ نديم الجسر.
راجع دراسات في النفس الإنسانية ـ محمد قطب ـ وكتاب الشيوعية والإسلام، د. مصطفى محمود.

وما أن أتمو فعلتهم الشنيعة حتى أحسوا بالندم على ما أقدمت أيديهم فأقسموا ليقدسن ذكراه، فعبدوه، ونشأت بذلك أول عبادة في الأرض.. عبادة الأب التي تحولت إلى عبادة الطوطم، وهو حيوان تعبده القبيلة كلها وتعتقد أن دماءه تجري في دمائها، ويحرمون ذبحه إلا في مناسبات دينية خاصة حيث يحتفل بذبحه.. يأكل منه الجميع لتجري دماؤه في دمائهم من جديد.

ثم وجدوا أنهم سيتقاتلون فيما بينهم على أمهم فلا ينالها أحد منهم فحرموها عليهم جميعاً.

وكل الديانات التي جاءت بعد ذلك هي محاولات لحل المشكلة ذاتها مشكلة إحساس الأبناء بالجريمة، تختلف بحسب مستوى الحضارة التي ظهرت فيها الوسائل التي تطبقها، ولكنها جميعاً تهدف إلى شيء واحد هو رد الفعل لنفس الحدث العظيم، ألا وهو قتل الأب.

وقد نسي «فرويد» أو تناسى أن الدين كان موجوداً من أيام المشايعة الأولى، ومن قبل أن يوجد التحريم بين الأم وابنها، ومن قبل أن تظهر العقدة «الأوديبية» على الإطلاق.

ونتساءل: من أين جاء «فرويد» بأسطورته تلك..؟

عن طريق الحفريات والبحث الجيولوجي في باطن الأرض..؟

أم عن طريق الغوص في أعماق التاريخ المنقوش على الحفريات وعلى أعمدة المعابد..؟

أم ترى تلقفه من أفواه المهووسين والشاذين والشاذات ممن يأتون إليه في معمله..؟

فهو يقرر في كتابهTotemato أنه اتخذ هذه الأسطورة من مثال أورده «داروين» من عالم البقر، ففي عالم البقر تهيج الثيران في موسم الإخصاب فتقتل أباها الكبير، ثم تقتتل فيما بينها على الأم كل يريد أن يفوز بها لنفسه، فتموت الثيران الضعيفة أو تخور قواها مما تنزف من الدم، ويبقى الثور الأقوى يفوز وحده بالأم ويلبي معها داعي الجنس(١). وفرويد في بساطة، وبلا تحرج ولا تأثم ولا تأنيب ضمير ينقل هذه الظاهرة الحيوانية إلى عالم الإنسان، وينسبها إلى البشرية الأولى، كأنما شهد مولدها وعاين تحركها، وسجل ما جرى لها من الأحداث، ويغفل في بساطة وبلا تحريج ولا تأثيم، ولا تأنيب ضمير أن بعض الحيوانات ذاتها يأبى الولد منها أن يطأ أمه، ولو دفع إلى ذلك دفعاً، وعوقب على الامتناع بالضرب الأليم.

ولكنه «فرويد» اليهودي المتعصب!

ليس هذا فقط ولكنه التلميذ المخلص لأفكار ونظرية «داروين»(٢).

٢١ ـ يعمل التبشير جاهداً على تبني الحركات الهدامة والتي تعمل ضد الإسلام ومحاولة تمجيدها وتكبيرها كالصوفية:

فمثلاً بعض الطوائف من الصوفية تدعو أتباعها إلى السلبية، والزهد في الحياة، ومن أقوالهم في ذلك: «من لا يدبّر دُبِّر له».

وكأنهم بذلك يلغون العقل جملة، ويتركون ذلك لله تعالى يدبر ويفكر لهم في حين أن الله تعالى أمر المسلمين باستعمال العقل.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى

(١) راجع كتاب الإنسان بين المادية والإسلام ـ محمد قطب.

(٢) داروين: ولد في إحدى مقاطعات ويلز في بريطانيا عام ١٨٠٩ ودرس اللاهوت والتاريخ الطبيعي، ومن مؤلفاته كتاب: أصل الأنواع.

﴿خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩١].

ودعاهم إلى العمل والكدح والضرب في فجاج الأرض قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] وكالبهائية والقاديانية.

نعم، البهائية التي يحتضنها التبشير لأن أصحابها يقولون عن الباب: بأنه أرفع مراتب الحقيقة الإلهية التي حلت في شخصه حلولاً مادياً جسمانياً، فهم يؤمنون إذن بفكرة الحلول والاتحاد. تلك الفكرة التي زرع بذورها وتعهد أعضاءها النصارى قديماً وحديثاً.

ألم يقولوا بأن «اللاهوت» الإله حل في «الناسوت» عيسى عليه السلام، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

ودين «البهاء» يقول مرة بمسيحيته وآونة بألوهيته، وأخرى إن وحدة اللاهوت مكونة من ثلاثة أقانيم هي البهاء وهو الرئيس وابنه الميرزا عباس الملقب بغصن الله الأعظم والباب، وأنهم هم المعبر عنهم في الإنجيل (المحرف) بالآب والابن والروح القدس، وفي القرآن بسم الله الرحمن الرحيم.

إن التبشير يفعل ذلك ويلقنه لأتباعه: وبعض البلهاء من المسلمين ينقادون خلفهم، وينفذون مخططاتهم في سبيل نفع قريب، أو شهوة فانية، والنتيجة في النهاية معروفة: هي تفسخ المجتمع الإسلامي وإثارة البغضاء بينهم وهذا ما يريده هؤلاء. فمتى يعي المسلمون ما يدبَّر لهم؟

* * *

الاستشراق وأضاليله
في النيل من الفكر الإسلامي

ما هو الاستشراق؟ وما حقيقته؟

وهل له أصول وجذور في معاجم اللغة العربية؟

أم أنه علم مستحدث لم يعرفه القدماء ولم يكن له أثر في حياتهم؟

إننا إذا تصفحنا معجماً لغوياً من المعاجم المحدثة لوجدنا كلمة «شرق» قد استعرضت على هذا الترتيب.

شرق المكان شرقاً أشرقت عليه الشمس.

وأشرقت الشمس: طلعت وأضاءت على الأرض.

وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

وأشرق وجهه: تلألأ حسناً، وقد شرق البلح لون بحمرة، وأشرق القوم دخلوا في وقت الشروق، وقال تعالى ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الشعراء: ٦٠] والإشراق: انبعاث نور من العالم غير المحسوس إلى الذهن، وتتم به المعرفة والتشريق: ثلاثة أيام بعد يوم النحر، وفي الحديث:

«أيام التشريق أيام أكل وشرب»[1].

والشراقي: في كلام أهل مصر: الأرض التي لم يصلها ماء النيل.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في الصيام ١٤٤ ـ ١٤٥، والنسائي في كتاب الإيمان ٧، وأحمد بن حنبل في المسند ٢: ٢٢٩، ٣: ٤٥١، ٤٦٠، ٤: ٣٣٥ (حلبي).

والمشرقان: المغرب والمشرق على التغليب[1]. وفي التنزيل قال تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ [الزخرف: ٣٨].

فهل يكون «الاستشراق» مصدراً للفعل «استشرق» أي اتجه إلى الشرق وتعلم لغة أهله، وتزيا بزيه؟

لا شك أن اللغة العربية التي وسعت كل شيء واستوعبت الكثير من المصطلحات لن تضيق بذلك.

ومن هذا المنطلق يكون المستشرق من درس لغة أو أكثر من لغات الشرق كالعربية والعبرية والسريانية، والفارسية وغيرها ثم درس بهذه اللغة التي تعلمها فنونها وآدابها ومعتقدات أهلها.

والاستشراق: هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي، وكلمة «مستشرق» بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بدراسة الشرق كله، أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه.

والمعنى الخاص لمفهوم الاستشراق يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته، وحضارته بوجه عام.

وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي عندما يطلق لفظ استشراق ومستشرق، وهو الشائع في كتابات المستشرقين المعنيين به.

وليس هناك شك في أن الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب قد لفت بقوة أنظار رجالات اللاهوت وغيرهم من النصارى واليهود إلى هذا الدين، ومن هنا بدأ الاهتمام بدراسة الإسلام حتى يتعرفوا على ما فيه من

---

(١) راجع المعجم الوسيط مادة شرق ط: إدارة إحياء التراث الإسلامي، دولة قطر.

سقطات ـ في رأي بعضهم ـ فيكون ذلك مدعاة لصرف أبناء جلدتهم عن الدخول فيه، بعد أن بهرتهم بطولات المسلمين في الحروب الصليبية واستأثروا عن طريق المعاملات الحسنة لأسراهم، والرحمة والعطف على جرحاهم.

وإذا كان ذلك كذلك فمتى بدأ الاستشراق..؟

وما هي الدوافع وراء اشتغال رجال الغرب بمعتقدات المسلمين وفكرهم؟

للإجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر في المبحث.

* * *

متى بدأ الاستشراق. .؟؟

وفي أي من الأزمنة أخذ يزاول نشاطه. .؟

إن المستعرض لآراء علماء المسلمين، ممن كان لهم جهد مشكور في هذه القضية، يرى أنهم متباينون في تحديد نشأة الاستشراق. فبعضهم يرجع هذه النشأة إلى إبان ظهور الإسلام عندما وقف الرسول ـ ﷺ ـ على الصفا وقال: أيها الناس إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس عامة.

وهذا الرأي لا يجد استجابة له عند الكثير من رجالات الفكر.

والبعض يرى أن بداية الاستشراق، عندما تحركت القوة الإسلامية الضاربة إلى شمال جزيرة العرب في غزوة مؤتة. . حيث رأى الغرب في هذه الفترة الجديدة تهديداً للشعوب التي لا تدين بالإسلام.

بينما يرى الدكتور محمد البهي: أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة جدية بعد فترة الإصلاح الديني التي قادها «مارتن لوثر»[(١)].

وتعود النشأة عند الأستاذ نجيب العفيفي إلى عقد مؤتمر مجمع «فيينا»[(٢)]، هذا المؤتمر الذي كان من أوائل توصياته إنشاء صفوف للغات العبرية، والعربية، والسريانية في روما على نفقة الفاتيكان.

(١) راجع الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٤٢٩، ط القاهرة.

(٢) المستشرقون للأستاذ نجيب عفيفي، ط القاهرة، دار المعارف.

كما أوصى المؤتمر بأن تنشأ هذه الصفوف في باريس على نفقة ملك فرنسا وفي أكسفورد على نفقة ملك انجلترا، وفي بولونيا على نفقة رجال الدين فيها.

ولقد وضعت هذه التوصيات موضع التنفيذ، وتم إنشاء الصفوف ونشطت الدراسات الاستشراقية، ووضعت أمام الباحثين المصنفات العربية، وعلوم المسلمين، وترجم العديد من كتب التراث التي تتصل بالعقيدة والشريعة[١] والفقه والأصول، والعربية إلى اللاتينية ترجمة علمية.

ويؤيد هذا الرأي الكثير ممن كتبوا عن نشأة الاستشراق. وإذا كان ذلك كذلك فما الدوافع الحقيقية وراء الدراسات والأساليب العدائية التي قام بها المستشرقون؟[٢].

للإجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر في المبحث.

* * *

(١) أمثال نذير حمدان وكتابه الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين؛ ود. زقزوق في كتابه الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.

(٢) نحن لا ننكر أن بعض المستشرقين كانوا منصفين للإسلام ورسوله ﷺ. ومن هؤلاء المستشرق الإنجليزي «توماس كارلايل» الذي قال في كتابه «الأبطال وعبادة الأبطال» لقد أصبح من أكبر العار على كل فرد متمدن في هذا العصر أن يصغي إلى القول بأن دين الإسلام كذب وأن محمداً خداع وزور، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرجل ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لمئات الملايين من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا ثم يقول: «فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ويصادفان منهم ذلك التصديق في القول والقبول فيه فما الناس إلا بله ومجانين وما الحياة إلا سخف وعبث وهذا لا يكون مطلقاً».

يتفق الكثير من الباحثين في تاريخ الاستشراق على أن بدايته قام بها رجال التبشير الذين كانوا يزاولون نشاطهم التخريبي في بلاد المسلمين التي وقعت فريسة بين أنياب المستعمرين.

وقد عمل عدد كبير من رجال الاستشراق في مجالات التبشير، وكانت كتاباتهم وتوجيهاتهم وقوداً خصبة في أيدي زعماء رجال الاستشراق أمثال «زويمر» و «مرجليوث» و «ماسنيون» و «هنري لامنس» و «لويس شيخو» و «فنسنك» و «جولد زيهير» وغيرهم.

وهذه المجموعة تعد من أشد المستشرقين بغضاً للإسلام وأهله وإذا كان ذلك كذلك فإننا نستطيع أن نحدد الدوافع خلف قيام الاستشراق فيما يأتي:

أولاً: الدافع الديني

يقول الدكتور محمد البهي: السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبيين إلى الاستشراق هو سبب ديني في الدرجة الأولى، فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين آثاراً مريرة مرهقة، وجاءت حركة الإصلاح الديني التي قام بها «مارتن لوثر» فشعرت طوائف النصارى من «بروتستانت» و «كاثوليك» بحاجتهم الملحة لإعادة النظر في شروح كتبهم الدينية ومحاولة تفهمها على أساس التطورات الجديدة التي تمخضت عنها حركة الإصلاح. ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية فالإسلامية،

وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شمل أدياناً ولغات وثقافات غير الإسلام وغير العربية[١].

ويقول الدكتور البهي أيضاً: ومن جهة نظر أخرى رغب النصارى في نشر دينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم للعالم الإسلامي، والتقت مصلحة المبشرين مع أهداف المستعمرين، وأقنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن النصرانية ستكون قاعدة الاستعمار الغربي في الشرق وبذلك سهل الاستعمار للمبشرين مهمتهم وبسط عليهم حمايته[٢].

وحين قامت جمعيات التبشير، ووضعت مخططها وهو تحويل المسلمين عن دينهم ونقلهم إلى النصرانية أو إلى اللادينية... كانت دوافع الاستشراق لدى المبشرين وأنصارهم هي دوافع التبشير نفسها وتتلخص بسلخ المسلمين عن دينهم، ومحاولة إدخالهم في النصرانية.

ولقد بلغ من مساندة الاستعمار الإنجليزي لدعاة التبشير أن المستشار الإنجليزي «دنلوب» أمر وزير الأوقاف المصري بإلغاء المستشفى الذي بنته الوزارة في مصر القديمة بجوار مستشفى «هرمن» التبشيري، لأنه في ـ رأيه ـ يصرف كثير من فقراء المسلمين عنهم فيحرمون من التبشير بالنصرانية..؟

كما أمر اللورد بتعطيل مجلة «المنار» لأنها ترد على المبشرين، وقد طلب المختصون من الشيخ رشيد رضا أن يتوقف عن الرد على المبشرين فأجاب رحمه الله:

«إني لن أدع الرد على المبشرين ما داموا يطعنون في الإسلام ويدعون المسلمين إلى دينهم، لأن الرد عليهم وتفنيد شبهاتهم فرض من فروض

(١) راجع الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤٣.
(٢) راجع الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي مصدر سابق.

الكفاية، حيث لا أرى في البلاد مجلة ولا جريدة تقوم بها، فإن تركتها كنت آثماً لجميع القادرين عليها».

ثانيا: الدافع الاستعماري

لقد كان من أهداف الحروب الصليبية الاستيلاء على تلك البلاد المليئة بالخيرات والكنوز، ولقد هزموا هزيمة منكرة على يد صلاح الدين الأيوبي وجيوشه، ومع ذلك فلم يخامرهم اليأس وظلوا يعدون العدة للاستيلاء على تلك البلاد.

يقول المؤرخ «جرانفيل» الذي رافق الملك لويس التاسع: «إن خلوته في معتقله بالمنصورة أتاحت له فرصة هادئة ليفكر بعمق في السياسة التي كان أجدر بالغرب أن يتبعها إزاء المسلمين وقد انتهى به التفكير إلى تلك الآراء والمآخذ التي أفضى بها لأعوانه المخلصين أثناء رحلته إلى عكا مقلعاً إليها من دمياط»[1].

وانتهى تفكير الملك لويس التاسع إلى أن النعرة الدينية في الغرب لم تعد كافية لإثارة الحروب ضد الإسلام والتغلب على المسلمين، فالحروب الصليبية أنهكت قوى الغرب البشرية والمالية، وأن قوى الصليبيين في الشرق أخذت في الانهيار ومات في قلب الصليبي ذلك الحافز الروحي وتبدل بحوافز مادية لا تتصل بالروح وإنما تتصل بالغنائم والأسلاب.

يقول المؤرخ «رينيه جروسيه»: وهكذا رسم لويس التاسع التخطيط المبدئي للسياسة التي رأى أنها تمكنه من مواجهة الإسلام والنيل من قوته وكان من بينها:

---

(١) من الحروب الصليبية إلى حرب السويس، محمد على الغتيث.

«تحويل الحملات الصليبية العسكرية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين الحملتين إلا من حيث نوع الأسلحة التي تستخدم في المعركة، وتجنيد المبشرين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره ثم القضاء عليه معنوياً، واعتبار هؤلاء المبشرين في تلك المعارك جنوداً للغرب»[١].

ثالثاً: الدافع الاقتصادي

يقول الأستاذ عبدالرحمن الميداني: «من الدوافع التي حرضت كثيراً من الغربيين على الدراسات الاستشراقية رغبتهم في غزو البلاد الإسلامية غزواً اقتصادياً، والهدف: الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية والثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان وإماتة الصناعات المحلية القديمة، لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدره المصانع الغربية»[٢].

ولقد خدم الاستشراق الناحية الاقتصادية خدمة عظيمة، وساعد على إحياء النهضة الصناعية في أوروبا. وذهب بعض الدارسين إلى أن الدوافع الاقتصادية التجارية للاستشراق انشغال بعض المستشرقين بإبراز بعض الجوانب الخرافية المنسوبة إلى الشرق والاتجار بهذه الجوانب والاسترزاق من ورائها فترجموا «ألف ليلة وليلة» وحللوها وبحثوا فيها، وكذا «رباعيات الخيام» ورسائل «إخوان الصفا» وغير ذلك[٣].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع أجنحة المكر الثلاثة ص ٩٣.

(٣) راجع في الغزو الفكري لنذير حمدان ص ١٦٩.

رابعاً: الدافع السياسي

رأى الغرب بعد انحسار جيوشه وإجلائها عن أراضي الشرق، أن يكون له وجود سياسي يرابط في سفاراته وقنصلياته ممن لهم خبرة عالية من الدراسات الاستشراقية ليقوم هؤلاء بمهمات سياسية متعددة في بلاد المسلمين، لتجنيد بعض رجال الفكر والسياسة والصحافة لمصالحهم، والتشكيك في جدوى الدين الإسلامي وإشاعة الفرقة وبث الفتن بين أبناء البلد الواحد، وحتى وقتنا الراهن لا زالت بعض الحكومات تستعين بالمستشرقين في رسم سياستها. ودخلت في هذا المضمار اليابان والصين وكوريا وغيرها من بلاد الشرق الأقصى، وزاد اهتمام هذه البلاد بالعالم الإسلامي بعد تحولها إلى دول صناعية تضارع ـ بل تفوق ـ الدول الغربية؛ وهؤلاء الوافدون الجدد قد لا يحملون مسمى «المستشرقون» بالضرورة... منهم خبراء بالمنطقة أو باحثون أو علماء متخصصون، وهذا يأتي نتيجة لمحاولات الانسلاخ من مصطلح «الاستشراق» نظراً لما وقر في نفوس المسلمين من مفهوم هذا اللفظ، والمهمة التي كان يقوم بها المستشرقون الأوائل، يقوم بها المستشرقون الجدد وإن اختلفت الوسائل وحورت المسميات.

خامساً: الدافع العلمي

يقول الأستاذ حنبكة الميداني: «وهناك مجموعة من المستشرقين اندفعت إلى العالم الإسلامي نتيجة للانبهار بالحضارة والتاريخ الإسلامي والعقيدة الإسلامية التي بنيت على التسامح مع الآخرين.. الأمر الذي لم يتحقق في إطار الديانتين السابقتين (اليهودية والنصرانية). هذا الانبهار حدا بالبعض إلى الاتجاه نحو الشرق والتعمق في علوم الإسلام وانتهى المقام بالكثير من هؤلاء إلى أن يخرجوا من ربقة الاستشراق ويصبحوا في عداد المسلمين، وإن أخفى بعضهم إيمانه نظراً لعوامل اجتماعية وسياسية، ومن هؤلاء «توماس أرنولد» في

كتابه العظيم «الدعوة إلى الإسلام»، فقد برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين... هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح في الإسلام. وأيضاً المستشرق الفرنسي «رينيه» الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وتسمى باسم «ناصر الدين رينيه»، وألف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول ﷺ. وله كتاب آخر باسم «أشعة خاصة بنور الإسلام» بيَّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله. وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها»[1].

---

(١) ومنهم المستشرق الفرنسي «كلود إيتان سافاري» فقد وصف الرسول ـ ﷺ ـ في مقدمة ترجمته للقرآن بالعظمة وقال: أسس محمد ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذي يكافئ على الفضيلة ويعاقب على الرذيلة، فالغربي المتنور وإن لم يعترف بنبوته لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهروا في التاريخ».

راجع القرآن والمستشرقون د. التهامي نقره ١٩ ـ ٥٧.

وقف الاستشراق من القرآن الكريم موقف الخصومة والإنكار وهذا طبيعي بالنسبة لأهداف الاستشراق.

ومن أجل ذلك اتجهت جهود المناهضين للإسلام قديماً وحديثاً إلى محاولة زعزعة الاعتقاد في صحة القرآن، وفي مصدره.

وقد بذل الوثنيون أتباع الجاهلية الأولى جهدهم في مقاومة فكرة أن القرآن وحي من عند الله، فزعموا أنه: ﴿إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤].

وقالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

وزعموا أن محمداً: ﴿يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

ولقد رد القرآن الكريم على هذه الادعاءات فقال عن الفريتين الأولى والثانية: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾ [الفرقان: ٦].

وقال القرآن رداً على فريتهم الثالثة: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وعندما نراجع ما كتبه الاستشراق عامة نجد أن هناك إجماعاً على الوقوف في وجه القرآن، وإنكار مصدره الرباني والقول: أنه من عمل محمد ﷺ ويجيء هذا الرأي تعصباً ضد القرآن ونبيه ﷺ.

نماذج من أقوال الاستشراق ضد القرآن الكريم

يقول الأستاذ خوجه كمال الدين في كتابه «المثل الأعلى في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»:

١ ـ «جاء الدكتور «فيجانا» بقصة فحواها أنه عثر على ترجمة سريانية للقرآن الكريم سقط منها بعض أجزائه».

يريد بذلك أن يوهم القارئ أنه ربما ضاع شيء من القرآن وكان «فيجانا» قبل هذا يشكك في صحة القرآن فباء بالفشل الذريع.

ويقول «مرجليوث»: وقد عثر الدكتور «فيجانا» على نسخة سريانية عريقة في القدم ووضعها في نشرة مكتبة «جون رايلادند» فله فضل السبق في هذا الأمر، وقد لفت المؤلف نفسه النظر في كتابه «صحائف من ثلاثة مصاحف قرآنية قديمة» إلى وجود اختلافات ذات بال في المخطوطات القديمة.

يقول الأستاذ خوجة كمال الدين:

«إن الإنسان ليحار في فهم المعيار الأدبي الذي يتوخاه المؤلف فيما يكتب عن الإسلام، فالأمر الذي يشك في قدمه، نفس الشخص الذي عثر عليه، يصبح أمراً عريقاً في القدم عند «مرجليوث» في أقل من عام».

وتعتبر الجملة الأخيرة فيما اقتبسناه من كلام مرجليوث مفتاحاً لسر الموقف الحقيقي، فإن الدعاية التي قامت على تلك الصحائف المزعومة قد تخلى عنها صاحبها لأنه قطع الأمل منها.

ولكن هوذا «مرجليوث» يقوم فيذكرها بعبارات لا لبس فيها ولا إبهام وإني لأتوقع أن يقوم ثالث يكتفي باقتباس هذه العبارة من كلام مرجليوث «اختلافات ذات بال في المخطوطات القديمة».

وبذلك تصبح حجة في التدليل عن المستشرق ـ على عدم صحة القرآن في الكتاب المقدس[١].

إن هذا هو التضليل والتزوير في البحث العلمي... عندما يخالف «مرجليوث» ضميره، ويضيف عبارة (عريقة في القدم) مع أن الدكتور «فيجانا» نفسه لم يقل ذلك بل يرى خلاف هذا الرأي.

وإذا لم يكن هذا تضليلاً وتزويراً فماذا يكون..؟

٢ ـ حاول «جولد زيهر» و«نولدكه» الادعاء بأن القرآن حُرِّف بعد وفاة محمد ﷺ فيدعون أن اسم الرسول ﷺ قثم أو قثامة ثم أبدل وصار محمداً لتيسير وضع الآية: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

٣ ـ ذهب البعض إلى البحث عن الحروف في أوائل بعض سور القرآن. وقال «نولدكه» إنها اختصارات لأسماء مالكي النسخ التي استخدمها زيد بن ثابت لجمع القرآن في مصحف واحد[٢].

وهو استنتاج باطل وساذج.

وذهب «ادوارد جوستر» إلى أن هذه الحروف المقطعة ليست إلا اختصارات للأسماء القديمة للسور، ولا ريب لو أنها كانت أسماء للسور لوجب أن توضع قبل البسملة لا بعدها.

---

(١) راجع الإسلام في وجه التغريب ـ مصدر سابق ـ ص ٢٨٣.

(٢) فمثلاً حرف الميم كان رمزاً لمصحف المغيرة، والهاء لمصحف أبي هريرة والصاد لمصحف سعد بن أبي وقاص، والنون لمصحف عثمان، فهي ـ عنده ـ إشارة لملكية المصحف، وقد تركت في مواضعها سهواً ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآناً.

راجع نظرات استشراقية في الإسلام للدكتور محمد غلاب ص ٤٢ ط القاهرة دار الكتاب العربي.

ولكن إذا كان ذلك كذلك، فما الذي يقصده المتشدقون بهذه الفرية؟

هل لديهم من العلم أكثر مما عند المسلمين؟

أنزل عليهم الوحي بأن هذه الحروف المقطعة أسماء للسور؟

الحق إنهم يقصدون بهذه الفرية: أن تكون هذه الحروف المقطعة ليست من الوحي وإنها عمل متأخر عن زمن الرسول ﷺ.

وهذه الحروف التي في أوائل سور القرآن اختلف فيها أهل التأويل فقال الشعبي وسفيان والثوري وجماعة من المحدثين: هي سر الله في القرآن، ولله في كل كتاب من كتبه سر، فهي إذن من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، وعلى المسلمين أن يؤمنوا بذلك.

وذكر أبو الليث السمرقندي عن عمرو وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا: «الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر».

وروي عن عبدالله بن عباس، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ أن الحروف المقطعة في القرآن اسم الله الأعظم.

وقال قطرب والفراء وغيرهما: هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي بناء كلامهم عليها ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم[1].

ومن أدق ما أبرزه المتكلمون في معاني هذه الحروف ما ذكره الزمخشري في الكشاف فإنه قال:

---

(١) راجع تفسير الإمام القرطبي في المقدمة ط الهيئة المصرية العامة لكتاب وتفسير «فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني ط. دار المعرفة بيروت ص ٢٩ جـ١.

«واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز وجل سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها تصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء، وهي الالف، واللام والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم».

ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد، والكاف، والهاء، والسين، والحاء، ومن المهجورة نصفها الألف، واللام، والميم والراء، والعين، والطاء، والقاف، والياء، والنون، ومن الشديدة نصفها الألف، والكاف، والطاء، والقاف، ومن الرخوة نصفها اللام، والميم، والراء، والصاد، والهاء، والعين، والسين، والحاء، والياء، والنون، ومن المطبقة نصفها الصاد، والطاء إلخ[1].

ومن الأباطيل ما ادعاه «لويس جارديه»، والأب قنواتي في كتابهما «فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والإسلام» «أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أقبل إلى القرآن في خلافته فقسمه إلى سور وآيات، ورتب السور وراء بعضها حسب طولها فأطولها أولاً ثم ما دونها طولاً وهكذا[2]».

وليس هذه المقولة مما يتلفظ به عاقل ذلك أن ترتيب سور القرآن وآياته أمر توافقي تم في حياة النبي ﷺ بمراجعة جبريل عليه السلام ولم يحدث تغيير له أو تبديل لا عن طريق عثمان ولا عن طريق غيره من خاصة المسلمين وعامتهم.

---

(١) راجع هذا النص وتكلمته في تفسير «فتح القدير» للإمام الشوكاني مصدر سابق جـ١ ص ٣٠.

(٢) راجع الإسلام في وجه التغريب للأستاذ أنور الجندي ص ٣٤٨.

إنه القرآن الكريم: كتاب الله تعالى وخاتم الرسالات السماوية إلى الأرض وهو الذي لم تنته الجن إذا سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

هذا ما قالته الجن عندما سمعوا كلام الله تعالى، فماذا قال شياطين الإنس على كلام الله دون أن يسمعوه؟

مع دائرة المعارف السوفييتية

قالت دائرة المعارف السوفييتية: «القرآن: الكتاب المقدس الأساسي للمسلمين... مجموعة من المواد المذهبية والأسطورية[1] والقانونية».

«وقد وضع القرآن وشرع خلال حكم ثالث الخلفاء عثمان، ثم أدخلت عليه فيما بعد حتى بداية القرن الثامن ـ وفق ما بلغنا من المعلومات ـ بعض التغييرات. ووفقاً للتراث الإسلامي للتاريخ الديني يعتبر محمد هو مشرع القرآن كما يعتبر مؤسس الإسلام.. على أنه وفقاً للتحليل الموضوعي للقرآن هناك نظرية تقول: إن جزءاً معيناً منه فقط ينتمي لعصر محمد.. أما الأجزاء الأخرى من هذه المجموعة فلا بد أنها تنتمي لعصور متقدمة أو متأخرة عنه، ويمكن أن يتبين هذا من وجود عدد من الأساليب المختلفة في القرآن، يمكن أن تعزى لتطور اللغة العربية، ولزمن ظهور السور ومكانها وتستخدم الطبقات الاستغلالية القرآن ورجال الدين الإسلامي الرجعيين سلاحاً لخداع الجماهير الكادحة وكبحها»[2].

---

(١) إنه يرددون ما قالته الجاهلية الأولى والذي حكاه القرآن عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] وكلنا نعلم أن ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي ـ وكان دولة تعد في مصاف الدول الأولى، قد أنزل الله عليها غضبه وجفت أراضيها فلا أخصبت ولا أنبتت، وأصبحت في المؤخرة تتسول إلى بقية الدول.

(٢) دائرة المعارف السوفيتية جـ١٢ ص ٥٦٤.

والحقيقة، أنني ما كنت أتصور أن أمثال هذا التخبط واللغو السفيه يسجل في كتاب يطلق عليه: دائرة المعارف.

إن دائرة المعارف في كل بلدان العالم، يعكف على كتابتها ورصد معلوماتها مجموعة من العلماء المتخصصين، ولا يسمح لأي منهم مهما بلغت درجته من العلم والمعرفة بالكتابة في غير تخصصه.

فمَنْ مِنَ العلماء السوفييت المتخصصين في دراسة الأديان أو علم اللاهوت المقارن كتب لهم هذا اللغو؟

أيكون من العلماء وهو لا يقطع برأي ثابت فيما يكتب، ولم يستطع في كل ما كتب أن يرجح رأياً على آخر؟

فهو مرة يقول: إن محمداً كتب جزءاً من القرآن فقط في حياته وبقي ناقصاً حتى تم إكماله في خلال القرن الثاني.

ومرة يقول: إن جزءاً من القرآن كان موجوداً قبل محمد ثم أكمله محمد أثناء حياته.

وثالثة يتخبط ويقول: إن القرآن لم يوضع إلا في خلافة عثمان أي بعد وفاة محمد ﷺ.

ثم يستمر في جهله: فيدعي وجود تباين في القرآن... ونقول: من أخبره بهذا التباين والاختلاف؟

وهو لا يستطيع أن ينسق بين معلوماته أو يركز أفكاره؟ إن معرفة الفروق بين الأساليب فن وتجربة لا يقدر عليهما إلا من حباه الله النضج العقلي والاتزان الفكري ـ ليس هذا فحسب ـ بل لا بد من قضاء مرحلة طويلة في التمرين بالأساليب المختلفة التي يريد أن يطلق عليها هذا الحكم؟

ولا يسعنا إزاء هذا إلا أن نغض الطرف عن هذا اللغو ونتساءل معهم ألا يحتمل أن يكون القرآن من وضع محمد؟

ونتساءل أيضاً ألا يوجد تباين في أساليب القرآن؟

ونستوضح الشياطين الحمر ونسألهم متى استخدم لخداع الفقراء وتخدير الجماهير؟

ونقول رداً على السؤال الأول: إن القرآن بشكله وعباراته وحروفه وما احتوى عليه من علوم ومعارف وأسرار وجمال بلاغي ودقة لغوية هو مما لا يدخل في قدرة بشر أن يؤلفه.. فإذا أضفنا إلى ذلك أن محمداً عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يتعلم في مدرسة ولم يختلط بحضارة، ولم يبرح شبه الجزيرة العربية فإن احتمال الشك واحتمال إلقاء هذا السؤال يُعَدُّ مستحيلاً.

وإذا نظرنا إلى القرآن في حياد وموضوعية فسوف نستبعد تماماً أن يكون محمد عليه السلام هو مؤلفه.. لأنه لو كان مؤلفه لبث فيه همومه وأشجانه ونحن نراه في عام واحد يفقد زوجه خديجة وعمه أبو طالب ولا سند له في الحياة غيرهما وفجيعته فيهما لا تقدر ومع ذلك لا يأتي لهما ذكر في القرآن ولا كلمة، وكذلك يموت ابنه إبراهيم ويبكيه ولا يأتي لذلك خبر في القرآن.

القرآن معزول تماماً عن الذات المحمدية(١).

وأول خاصة ينبه إليها الباحث في العلوم القرآنية هي ذلك التحدي الصريح الذي وجهه القرآن إلى الناس كافة، منذ أربعة عشر قرناً، وبخاصة أولئك الذين ينكرون رسالة القرآن ولم يستطع أحد من عباقرة البشر أن يرد التحدي إلى الآن.

لقد أعلن القرآن بصوت عال لا إبهام فيه ولا غموض.

---

(١) حوار مع صديقي الملحد: مصطفى محمود. بتصرف.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣].

إنه أغرب تحد في التاريخ، وأكثره إثارة، فلم يجرؤ أحد من الكتاب في التاريخ الإنساني ـ وهو بكامل عقله ووعيه ـ أن يقدم تحدياً مماثلاً، ولكن حين يدعى أن هناك كلاماً ليس في إمكان الإتيان بمثله ثم تخفق البشرية على مدى التاريخ في مواجهة هذا التحدي، حينئذ يثبت تلقائياً أنه كلام غير إنساني، وأنها كلمات صدرت عن صميم المنبع الإلهي، وكل ما يخرج من المنبع الإلهي لا يمكن مواجهة تحدياته.

وفي الإجابة على السؤال الثاني نستعرض هذه الواقعة التاريخية لنرى إن كان في القرآن تباين أم لا..؟

وتتلخص هذه الواقعة في ما حدث من الشاعر لبيد بن ربيعة، الشهير ببلاغة منطقه، وفصاحة لسانه، ورصانة شعره، فعندما سمع أن محمداً يتحدى الناس بكلامه قال بعض الأبيات رداً على ما سمع، وعلقها على باب الكعبة، وكان التعليق على باب الكعبة امتيازاً لم تدركه إلا فئة قليلة من كبار شعراء العرب، وحين رأى أحد المسلمين هذا أخذته العزة، فكتب بعض آيات الكتاب الكريم، وعلقها إلى جوار أبيات لبيد.

ومر لبيد بباب الكعبة في اليوم التالي، ولم يكن قد أسلم بعد، فأذهلته الآيات القرآنية، حتى إنه صرخ من فوره قائلاً:

«والله ما هذا بقول بشر، وأنا من المسلمين[(١)]».

فعل لبيد ذلك وهو الخبير بأساليب اللغة.. العالم بكل صغيرة وكبيرة فيها.. لقد وجد في أساليب القرآن وفي نسق القرآن معجزة لا يستطيع أن يقوم بها بشر فأعلن إسلامه.

---

(١) الإسلام يتحدى ـ وحيد الدين خان تعريب: ظفر الإسلام خان.

وكان من نتيجة هذه المعرفة أن هذا الشاعر العربي العملاق هجر قول الشعر وقد قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً: يا أبا عقيل، أنشدني شيئاً من شعرك. فقرأ سورة البقرة وقال: ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران.

أعجز لبيد الذي نشأ بين أحضان اللغة العربية معرفة تباين واختلاف أساليب القرآن حتى جاء هذا الأحمر الجاهل بأساليبنا ولغتنا ليقول لنا إن في القرآن اختلافاً وتبايناً؟

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

* * *

كانت ترجمة القرآن الكريم من خيوط المخطط الذي بدأه الغرب المسيحي بعد الحروب الصليبية تحقيقاً لوصية لويس التاسع.

وفي محاولة لتحطيم الرأي العام الذي أخذ يتكون في أوروبا نتيجة لمقولة العائدين من المعارك في الشرق، والذين تحدثوا عن سماحة الإسلام في التعامل مع الغزاة، وعظمة الإسلام في الأداء الحضاري.

الأمر الذي أزعج الكنيسة ودفعها إلى العمل على مقاومة ذلك عن طريق ترجمة القرآن، وتفسيره على النحو الذي يثير التكذيب لرسوله - ﷺ - والتشكيك في سلامته.

يقول أحد الباحثين:

إنه بعد الغارة الصليبية الأولى رأي رجال الكنيسة أن استيلاء الأوروبيين على البلاد المقدسة لم يأت بالنصر الحاسم، ولم يؤد إلى اعتناق المسلمين للمسيحية، بل على العكس، قد نتج عنه أن تركت حضارة الإسلام وعاداتهم وطريق معيشتهم تأثيراً ملموساً في الصليبيين.

وعند ذلك قامت الأصوات تدعو إلى ضرورة استخدام الوسائل الفكرية في محاربة الإسلام، وفي مقدمة المتحمسين لهؤلاء بطرس المحترم عام ١١٥٦، الذي أوفد إلى أسبانيا وسنحت له الفرص للإطلاع على المناقشات بين المسلمين والمسيحيين في أسبانيا.

وعلى سياسة الذين يرون أنه لا سبيل إلى مكافحة العقيدة المحمدية إلا بالحجج العقلية، وقوة المنطق، ومن أجل معرفة آراء الخصم جيداً تقرر ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية.

وتعد أول طبعة لنص القرآن تلك التي نشرها «باجانيني» في البندقية عام ١٥٣٠، وقد أحرقت جميع نسخها في الحال بأمر من البابا بولس الثالث.

ثم أصدر البابا إسكندر الرابع أمراً بمنع طبع نص القرآن وترجمته. وحتى عام ١٦٧٧ لم يجسر القس الألماني إبراهيم هيكلمان من طبع ترجمته التي نشرت عام ١٦٩٤ والتي قال في مقدمتها: إنه من الضروري أن نعرف القرآن معرفة دقيقة إذا أردنا مكافحته، وتمهيد السبيل لانتشار المسيحية في الشرق.

وهكذا نجد أن العامل الأساسي في ترجمة القرآن كان لحساب التبشير والاستشراق.

على أساس إعطاء المستشرقين القدرة للتعرف على الجوانب التي يستطيعون منها مهاجمة الإسلام، ومجادلة المسلمين.

ومن هنا نجد أن جميع المستشرقين الذي كتبوا بعد ذلك أبحاثهم اعتمدوا هذه الوجهة وهذه الطريقة.

وكانت منطلقاتهم جميعاً الإدعاء بأن الأصل الذي جاء منه القرآن هو الإنجيل أو التوراة.

وأن الإسلام من اختراع محمد ـ ﷺ ـ وأن القرآن أيضاً من بنات أفكاره.

هكذا نجد هذه الإدعاءات في كتابات «يوهل» عن مادة محمد في دائرة المعارف الإسلامية، «وتوينبي» في بحث التاريخ. ونجد «وارنر» و «جايجر» و «بوري» كلهم يجرون في طريق واحد لا يصدر عن أسلوب علمي.

ولكن دافعه الهوى والتعصب، والحقد على الإسلام وأهله.

ويقول «بروكلمان»:

«إن النبوة كانت أمراً يتوقعه الرسول ـ ﷺ ـ والذي كان يكلمه هو صديق له».

واتفاق المبشرين على هذا «الإدعاء» لم يأت عفوياً بل هو استنتاج متفق عليه على حد تعبير الكاتب الإسلامي محمد أسد، إذ يقول:

«الظاهر من بحوث هؤلاء المستشرقين أن الإسلام لا يمكن أن يعالج أو أن تبحث موضوعاته على أنه موضوع للبحث العلمي، بل على أنه متهم يقف في ساحة القضاء للحكم عليه.

وكان رد مفكري الإسلام على هذه الشبهات والتزييف: أنه لو كانت التوراة والإنجيل مصادر للقرآن لكان اليهود أعرف الناس بهذا، وسارعوا إلى إذاعته والتدليل عليه وكشف المخبوء منه، ولكنهم لم يفعلوا مع أن القرآن قد تحدى كفار قريش ومعهم اليهود حيث كانوا منتشرين في الجزيرة العربية أن يأتوا بمثل القرآن، ولو كان ما يقولونه صحيحاً لقالوا إنه مأخوذ من التوراة، أو مقتبس من الإنجيل ولكن لم يصدر منهم قبل ذلك القول، ولم تذكر لنا مصادر التاريخ أنهم قبلوا التحدي، وأتوا بعشر سور كما قال تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

ولكنهم عجزوا كلَّ العجز، ولو استطاعوا ذلك وقدروا عليه ما كان الله سبحانه وتعالى أن يطلب بعد ذلك سورة واحدة بقوله:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

ولكنهم عجزوا أيضاً عن الإتيان بالسورة الواحدة، عندها طلب الله تعالى منهم أن يأتوا بحديث واحد يكون مثل القرآن.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣ ـ ٣٤].

ولكنهم عجزوا وأسقط في أيديهم. عندها قال الله تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

فكيف يأتي هؤلاء ويدَّعون أن القرآن مقتبس من الإنجيل والتوراة؟

إنه التضليل الذي لا يقف عند حد؟

ولقد شهد بعض كتاب الغرب بفساد رأي الاستشراق، يقول العالم «إرنست باركر» في كتابه: «الإسلام والمسيحية الحقيقية»:

«إن العقيدة والنظام الديني الذي جاء به الإنجيل ليس الذي دعا إليه السيد المسيح بقوله وعمله، وإن مرد النزاع القائم بين المسيحية اليوم وبين المسلمين ليس إلى المسيح بل إلى دهاء بولس، وشرحه للصحف المقدسة على طريق التجسيم».

وإن بولس هو واضع ذلك المزيج من القصص، والأحاديث المتعارضة. ومن هنا فإن هناك اختلافاً أساسياً من حيث الأسلوب لأن لكل إنجيل كاتباً: لوقا، متى، يوحنا، برنابا.

ومن هنا جاء القرآن مخالفاً لهذه الأناجيل وللتوراة مادة وأسلوباً.

أما الذين يدعون بأن القرآن من أصول عديدة لم ترد في الكتابين، ومن تفصيلات في بعض الأحداث لم يعرفها اليهود والنصارى.

فقد أخبر القرآن بأشياء ما كان يعلمها أحد حتى أهل الكتاب أنفسهم مع أنها تتعلق بصميم مسائل دينهم.

فهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن كفالة زكريا للسيدة مريم بعد ولادتها التي قال عنها القرآن الكريم:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

كذلك فقد أخبر القرآن بأشياء كثيرة تحققت تحقيقاً تاماً بعد الإخبار بها، منها إخباره عن انتصار الروم بعد هزيمتهم.

وكان الفرس قد غلبوا الروم عام ٦١٠هـ ودولة الروم كانت مختلة مضطربة بحيث لم يكن أحد يرجو أن تعود لها الكرة والغلبة.

ومع ذلك فقد أخبر القرآن بانتصار الروم في بضع سنين والبضع ما بين الثلاث والتسع قال تعالى:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الروم: ١ ـ ٤].

كذلك فإن القرآن أخبر بأمور ما عرفت إلا في العصر الحديث، وما كان أحد أن يعرفها أو يؤمن بها إلا المسلمون، ولم يرد بها أي إشارة من علم في التوراة أو الإنجيل.

من ذلك إخباره بانخفاض الضغط الجوي في أعالي الجو، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وكذلك الإخبار عن اهتزاز الأرض عند نزول المطر عليها قال الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥].

وفي القرآن الكريم أمور لا يمكن أن تنسب إلى الرسول ـ ﷺ ـ لأنها تحتوي معاتبته على تصرف من التصرفات، وما كان الرسول ـ ﷺ ـ أن يكتب القرآن ثم يعاتب نفسه وأمثال ذلك قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقوله تعالى:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وقوله تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠)﴾ [عبس: ١ ـ ١٠].

وقوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وقوله تعالى:

﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

وغير ذلك كثير، فكيف يكون القرآن من تأليف محمد؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

أما الزعم فيه، وبأن النبي ـ ﷺ ـ كان له صديق يكلمه فإن الأخبار الثابتة الصحيحة لم ترد مطلقاً بأن النبي ـ ﷺ ـ كان يرجو أن يكون النبي المنتظر.

ولو كان الأمر كذلك لقال به القائلون ولدونه المؤرخون كما دونوا عن أميّة بن أبي الصلت، بل لقد صرح القرآن بخلاف ذلك. قال تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٨٦].

وقد شهد أعداؤه جميعاً له بالصدق وخاصة أبا جهل، ولو كان شيء من ذلك صحيحاً لكان كفار قريش أدرى به من «بروكلمان» ومن سار على دربه.

كذلك فقد برأ القرآن الرسول ـ ﷺ ـ من أن يكون له غلام يعلمه قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

وقد أثبت علماء المسلمين أن الكلمات الأجنبية التي قال بها بعض المستشرقين كانت في أصلها عربية نقلت إلى هذه اللغات الحبشية، والسريانية، والفارسية ثم عادت إلى عربيتها مرة أخرى.

ولقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الطبري حين قال:

«إنه غير جائز أن يتوهم ذو نظرة صحيحة مقر بكتاب الله ممن قرأ القرآن وعرف حدود الله أن يعتقد أن بعض القرآن فارسي لا عربي وبعضه نبطي لا عربي، وبعضه حبشي لا عربي بعد ما أخبر الله تعالى ذكره عنه أنه جعله قرآناً عربياً بل إن الله تبارك وتعالى نفى عنه العجمية، ونفى أن يكون بعضه أعجمياً وبعضه[1] عربياً بقوله تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]».

---

(١) راجع مقدمة التفسير للإمام الطبري.

يقول الإمام القرطبي: فبين الله سبحانه وتعالى أنه أنزله بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز، إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظماً ونثراً، وإذا عجزوا عن معارضته كان من أول الدليل على أنه من عند الله، ولو كان بلسان العجم لقالوا: لا علم لنا بهذا اللسان.

وإذا ثبت هذا ففيه دليل على أن القرآن عربي، وأنه نزل بلغة العرب وأنه ليس أعجمياً، وأنه إذا نقل عنها إلى غيرها لم تكن قرآناً[١].

* * *

شهادة الدكتور موريس بوكاي صاحب كتاب

القرآن الكريم والتوراة والإنجيل

ويطيب لنا أن نختم هذا البحث عن القرآن الكريم بشهادة هذا الطبيب الفرنسي: «لقد أثارت دهشتي هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن والتي كانت مطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة».

ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم سابق، وبموضوعية تامة بيد أني لا أنكر تأثير التعاليم التي تلقيتها في شبابي. حيث لم تكن الأغلبية تتحدث عن الإسلام، وإنما عن المحمديين لتأكيد الإشارة إلى أن هذا الدين أسسه رجل، وبالتالي فهو ليس بدين سماوي فلا قيمة له عند الله، وكان يمكن أن أظل محتفظاً كالكثيرين بتلك الأفكار الخاطئة عن الإسلام وهي شديدة الانتشار».

ولما تحدثت مع بعض المبشرين من غير المتخصصين عرفت أني كنت

---

(١) راجع تفسير الإمام القرطبي ١٥: ٣٦٨ ط وزارة الثقافة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر عام ١٩٦٧.

جاهلاً قبل أن تعطى لي عن الإسلام صورة تختلف عن تلك التي تلقيتها في الغرب وكان هدفي الأول هو قراءة القرآن ودراسة نصه آية آية مستعيناً بمختلف التعليقات اللازمة للدراسة النقدية، وانتبهت بشكل خاص إلى دقة بعض الإشارات الخاصة بالظواهر الطبيعية ومطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن هذه الظواهر نفسها، والتي لم يكن لأي إنسان في عصر محمد ـ ﷺ ـ أن يكون عنها أدنى فكرة».

ثم قرأت إثر ذلك مؤلفات كثيرة متخصصة للجوانب العلمية في القرآن الكريم. وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية فادحة، فإنا لا نجد في القرآن أي خطأ، وقد دفعني ذلك إلى أن أتساءل:

لو كان مؤلف القرآن إنساناً فكيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة؟ ليس هناك أي مجال للشك، فنص القرآن الذي نملك اليوم النص الأول نفسه، ومن ذا الذي كان في عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتها العلمية؟»

حقاً إن في إشارات القرآن قضايا ذات صبغة علمية تثير الدهشة من ذلك؛ ففي القضايا التي تخضع للملاحظة، مثل تطور الجنين، يمكن مقابلة مختلف المراحل موصوفة في القرآن مع معطيات علم الأجنة الحديثة لمعرفة مدى اتفاق الآيات القرآنية فيها مع العلم[١]».

* * *

(١) راجع كتاب القرآن الكريم والتوراة والإنجيل للدكتور موريس بوكاي.

ما أهداف الاستشراق قديماً وحديثاً وما الباعث خلف دراستهم للفكر الإسلامي من قرآن وحديث وعقيدة وشريعة؟

أيكون الدافع العلمي وراء كل الجهود الاستشراقية؟

أيكون الدافع الديني وراء نشأة الاستشراق ودعم الدراسات الإسلامية والعربية في أوروبا؟

ونرى أن الدافع العلمي والديني والسياسي والاقتصادي وراء نشأة الاستشراق وقيامة وتهيئة الدراسات «الأكاديمية» لنجاحه وتحقيق أهدافه.

ولكن لا يخالجنا شك أن أخطر أهداف الاستشراق العمل على تحويل المسلمين عن دينهم، وإشاعة الفرقة فيما بينهم حتى يقاتل بعضهم بعضاً ويصارع بعضهم بعضاً.

ولا شك أن واقع المسلمين المعاصر خير شاهد على ذلك.

ولتحقيق هذا الهدف، وهو إخراج المسلمين من الإسلام، لجأ الاستشراق إلى الأعمال الآتية:

أولاً: التشكيك في رسالة محمد ـ ﷺ ـ فجمهورهم ينكرون أن يكون محمد ـ ﷺ ـ نبياً أوحي إليه وأنزل عليه آخر الرسالات السماوية. ومن أشد هؤلاء تعصباً وانحرافاً «مرجليوث» و «لامنس».

فالأول ألف كتاباً عن حياة الرسول ـ ﷺ ـ مليء بالأخطاء ويرجع ذلك إلى تعصبه وعدم فهمه للغة.

أما «لامنس» فقد عمل على تحريف النصوص، وحرف تاريخ ميلاد الرسول ـ ﷺ ـ وحاول أن يرسم صورة مشوهة عن فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنها.

ويقول الأستاذ محمد كامل عياد: إن أكثرية المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن محمد ـ ﷺ ـ بسبب تعصبهم الديني.

وقد أشار إلى ذلك المستشرق (إيتان دينيه) في كتابه عن سيرة الرسول ـ ﷺ ـ حيث قال:

«إن هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبي ـ ﷺ ـ لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدفعون، ويمحصون مزاعمهم حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة النبي ـ ﷺ ـ ومع ذلك لم يتمكنوا من إثبات أقل شيء جديد، بل إذا أمعنا النظر في الآراء الجديدة التي جاء بها المستشرقون: لا نجد إلا خلطاً وخبطاً.

ثانياً: إنكارهم كون القرآن كتاباً منزلاً من عند الله عز وجل، وحين يفحمهم ما ورد في القرآن من حقائق تاريخيه عن الأمم الماضية.. مما يستحيل صدوره عن أُمِّيٍّ مثل محمد ـ ﷺ ـ يزعمون أن محمداً استمدَّ هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها.

يقول «جورج سيل» في مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن التي صدرت عام ١٧٣٦:

«أما أن محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح ـ مع ذلك ـ أن المعاونة التي حصل عليها

من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة، وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك»[(١)].

وهذه كلها مزاعم واهية لا حظ لها من العلم ولا سند لها من الواقع، وإنما هي تخمينات وافتراضات لا تصل إلى درجة اليقين.

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز:

«جميع سبل البحث التي وقعت تحت أيدينا وناقشناها ثبت ضعفها وعدم قدرتها على تقديم أي احتمال لطريق طبيعي أتاح له - أي النبي - ﷺ - فرصة الاتصال بالحقائق المقدسة، ورغم الجهد الذهني الذي نبذله لتضخيم معلوماته المسبقة ومعارف بيئته فإنه يتعذر علينا اعتبارها تفسيراً كافياً لهذا البناء الشامخ من العلوم الواسعة المفصلة التي يقدمها لنا القرآن الكريم في مجال الدين والتاريخ والأخلاق والقانون والكون. . إلخ»[(٢)].

فلم يبق إلا أنه وحي الله لنبيه - ﷺ - الذي أرسله رحمة للناس أجمعين.

ثالثاً: إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً منزلاً من عند الله تعالى، وإنما هو ملفق من الديانتين السابقتين اليهودية والنصرانية، وهم في هذا يخبطون خبط عشواء.

ويلاحظ أن المستشرقين اليهود أمثال «جولدزيهر» و «شاخت» هم أشد حرصاً على هذا الإدعاء.

إن المفروض أن الأديان السماوية ما دام مصدرها واحد أن تتلاقى وتتفق، ويدعم بعضها بعضاً وأن يكون المتأخر متمماً للسابق وهذه هي حقيقة الأديان السماوية:

---

(١) راجع الاستشراق والخلفية الفكرية الدكتور محمود زقزوق ص ١٠٠.

(٢) راجع مدخل إلى القرآن الكريم د. محمد عبد الله دراز ص ١٦٥.

إن كل الأنبياء والرسل الذي أرسلهم الله تعالى كانوا يدعون إلى الواحد الأحد الفرد الصمد.

فنوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وصالح يقول لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وكذلك موسى، وعيسى فإذا جاء خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ قال له الله تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فإذا كانت كلمة التوحيد هي دعوة الرسل جميعاً فكيف تختلف وتتباين؟ والله سبحانه وتعالى يخبر في كتابه أن الإسلام كان دعوة الرسل جميعاً فأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يقول عنه القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وعيسى عليه السلام يحكي القرآن الكريم قولته بقوله:

﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١].

وقال يوسف عليه السلام: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢].

وسحرة فرعون عندما تبين لهم الحق وآمنوا بموسى وبما جاء به من عند ربه قالوا لفرعون:

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وقال موسى عليه السلام لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

ثم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

ويقول أيضاً: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وإذا كانت الديانات السماوية هي دين واحد، وإذا كان هذا الدين الذي أرسل إلى موسى وعيسى ومحمد يدعو إلى توحيد الله فكيف لا يتشابه هذا الدين؟

إن ما بقي سليماً من الإنجيل والتوراة لم يحرف كان نسخة من القرآن الكريم، أما الذين حرف فهو الذي وضعه البشر ومن هنا يختلف ويتباين، ولهذا تخبط هؤلاء المستشرقون تخبطاً كبيرا وَلَفَّهُم ليلٌ من الضلال كبير، فغشي على عيونهم وطمس على قلوبهم.

رابعاً: التشكيك في صحة الحديث النبوي الأصل الثاني للإسلام. وقد أمر الله سبحانه وتعالى ﷺ أن يبلغ رسالته إلى الناس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ [المائدة: ٦٧].

وأمره أن يبين ويوضح ما أنزل إليه بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال الله أيضاً: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤].

وتكاد تتركز شكوك المستشرقين في السنّة حول تأخر تدوين الحديث فهم يرون أن تأخر تدوين الحديث الذي بدأ في المائة الثانية للهجرة قد أعطى فرصة للمسلمين ليزيدوا وينقصوا في الحديث وفي وضع أحاديث لخدمة أغراضهم. ولقد شك «جولدزيهر» في صحة وجود صحف كثيرة في عهد الرسول ﷺ ويرمي من وراء ذلك إلى إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور، ويرمي من وراء ذلك إلى وصم السنة كلها بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين.

إن هؤلاء العلماء الذين عملوا على تدوين السنة كان لهم باع طويل في نقد الرواة وبيان حالهم من صدق أو كذب وقد وصلوا في هذا الباب إلى أبعد مدى، وأبلوا فيه بلاء حسناً، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، ولا منعهم عن تجريح الرواة والتشهير بهم ورع ولا حرج، قيل ليحيى بن سعيد القطان:

«أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة؟ فقال:

لأن يكون هؤلاء خصمي أحب إليَّ من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ يقول: «لم تذب الكذب عن حديثي»[1].

---

(١) راجع كتاب السنة للدكتور السباعي ص ٩٢.

ويقول «شبرنجر» في كتابه: الحديث عند العرب: «إن الشروع في التدوين وقع في القرن الهجري الثاني، وأن السنة انتقلت بطريق المشافهة».

وأما «دوزي» فهو ينكر نسبة هاته «التركة المجهولة»، كما يحلو له أن يسميها ظلماً، إلى الرسول ﷺ. وقد ردَّ على ذلك مطوّلاً الدكتور صبحي الصالح في كتابه القيِّم «علوم الحديث ومصطلحه».

ويقول الدكتور مصطفى السباعي في كتابه «السنَّة قبل التدوين»:

«حرص الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على حفظ حديث رسول الله ﷺ ونقله، وحرص التابعون وتابعو التابعين من بعدهم على نقل هذا الحديث وجمعه وتنقيته من شوائب التحريف، والتزيد، وما قام به علماء السنة من جهود جبارة في تتبع الكذابين والوضاعين وفضح نواياهم ودخائلهم وبيان ما زادوه في السنة من أحاديث مكذوبة، حيث جمعت السنة في كتب صحيحة وأشبعها النقاد بحثاً وتمحيصاً ثم خرجوا من ذلك بصحتها والتسليم بها».

وقد لخص الدكتور مصطفى السباعي أهداف المستشرقين على النحو الآتي:

«١ ـ إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم.

٢ ـ تحريف النصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً.

٣ ـ إساءة فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف.

٤ ـ تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها: ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه، فهم يصححون ما يقوله الدميري في كتاب الحيوان، ويكذبون ما يرويه مالك في الموطأ[1]».

---

(١) راجع الإسلام في وجه التغريب للأستاذ أنور الجندي.

يقول الدكتور عبدالرحمن حبنكه في كتابه «أجنحة المكر الثلاثة»: «لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم، ولا وسيلة لإحكام خطط الكيد للإسلام والمسلمين إلا سلكوها وهي كالآتي:

١ ـ تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام والرسول، والقرآن وتاريخ المسلمين ومجتمعاتهم، وفي معظم هذه الكتب كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو بترها، وكثير من التحريف في تفسير الوقائع التاريخية وتعليل أحداثها، واعتبار بعض الحوادث الفردية الإنسانية لها صفة العموم والشمول لكل الأفراد.

٢ـ إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وبلادهم.

٣ ـ إمداد إرساليات التبشير بالخبراء من المستشرقين، ودعمها بما تحتاج إليه من جهودهم.

٤ ـ إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، وتحريكهم الأيدي الخفية لاستدعائهم إلى الجامعات العربية والإسلامية لإلقاء المحاضرات التي يتحدثون فيها عن الإسلام ويدسون فيها من أضاليلهم الشيء الكثير.

٥ ـ نشر المقالات في الصحف المحلية للبلاد الإسلامية، وقد استطاعوا أن يستأجروا عدداً من هذه الصحف لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم.

٦ ـ عقد المؤتمرات الاستشراقية لتبادل الرأي فيما يحقق الأهداف.

٧ ـ إنشاء الموسوعة الإسلامية وقد أصدروها بعدة لغات، وقد حشد لها كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام، ودس السم بالدسم وملئت هذه الموسوعة بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به، ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين من المسلمين إذ يعتبرونها حجة فيما تورده من معارف»(١).

فماذا أعددنا العدة لذلك؟ وماذا نحن فاعلون؟

هل فكر علماء المسلمين أن يتخلصوا من وصاية الاستشراق؟

هل فكرت الدول الإسلامية في إقامة المؤتمرات لتحصين المسلمين.

هل فكرت إحدى دول البترول إنشاء مجلة علمية متخصصة للرد على هؤلاء الذين يعبثون بعقائدنا وإسلامنا؟

هل فكر علماء المسلمين في إقامة موسوعة لتدوين أفكارنا الصحيحة.

أم أن المسلمين الآن كما تنبأ لهم الرسول ﷺ بقوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الآكلة على قصعتها قال: قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟

قال: أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع الله المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن.

قال: قلنا: وما الوهن؟

قال: حب الحياة وكراهية الموت»(٢).

فهلاَّ اعتبرنا يا أولي الألباب؟!

---

(١) راجع أجنحة المكر الثلاثة مصدر سابق ص ٩٩.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم ٥ والإمام أحمد بن حنبل في المسند ٥: ٢٧٨ (حلبي).

دراسة ذاتية عن بعض المستشرقين ودورهم في محاربة الإسلام والنيل من قيمه ومبادئه

١ ـــ هاملتون جب

عمل هاملتون جب في دوائر الاستعمار، وكان من أبرز المستشرقين الإنجليز الذين يخدمون أهداف الاحتلال البريطاني وقد عرف بقيادة أخطر حركة من حركات الاستشراق، وهي حركة التغريب التي تولى إعداد دراسة خطيرة عنها مع أربعة من المستشرقين تناولت العالم الإسلامي كله، في محاولة لفحص مدى ما وصلت إليه محاولة تغريب الإسلام والمسلمين، وقد طبع هذا الكتاب وترجم إلى اللغة العربية تحت اسم (وجهة الإسلام).

وتناول الوسائل التي تعمل على احتواء الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي، وركز على التبشير في مدارس الإرساليات، وتأثير الاستعمار في مناهج المدرسة الوطنية، وأشار إلى الدور الخطير الذي تقوم به الصحافة، وكيف يتقدم على قيادتها العلمانيون، والمتفرنجون، وأولياء الثقافة الغربية حتى تظل تؤدي عملها الخطير.

وأشار إلى الدور الذي قام به التغريب في تنحية الإسلام عن عرشه من حيث هو قوة اجتماعية تسود الحياة، وتوجهها، وكيف أن القوانين الوضعية الغربية عملت على تقليص ظل الشريعة الإسلامية في مجال الحياة والمجتمع.

وأشار إلى التصدع الذي أصاب الجامعة الإسلامية والوحدة التي كانت

تؤلف بين وحدات المجتمع الإسلامي بعد سقوط الخلافة التي كانت تعد حجر الزاوية في بناء هذه الوحدة، وإن كان «جب» قد أشار إلى أن زوال الخلافة لم ينل من وحدة المجتمع الإسلامي.

ومن أخطر السموم التي أثارها جب في كتابه «بنية الفكر الديني في الإسلام» هو ادعاؤه بأن الإسلام جاء ليضفي الصفة الدينية على تلك الإحيائية العربية القديمة التي نسجتها الأعراف، والبيئة، بعد أن لم يستطع محمد ﷺ التخلص منها، ويقصد بالإحيائية: تلك العقائد الروحية الخرافية كالإيمان بالسحر والتنجيم والكهانة.

وقد عرف «هاملتن جب» بأنه واحد من المستشرقين الذين عرفوا بمنهج محدد، قوامه وضع فرضيات مسبقة يعبر بها عن غاية له، ثم ينطلق فيبحث لهاعن شواهد وأدلة ويجعل طرائق بحثه كلها خاضعة لسلطان تلك الفرضيات، وإن «جب» كما يقول الدكتور البوطي: «وضع أمام القارئ جملة من الدعاوى والمزاعم العجيبة بأسلوب من التقرير الثابت، دون أن يمد بينه وبينها أي خيط أو شريان من المؤيدات أو البراهين العلمية... خلاصة هذه المزاعم أن بنية الفكر في الإسلام إنما هي معظم ما كان لدى العرب في جاهليتهم من العقائد الغيبية، والطقوس الشكلية النابعة عن عقيدتهم بالأرواح (الإحيائية العربية)، فقد تأمل محمد ﷺ فيها فغير ما أمكن تغييره، ثم عمد إلى الباقي مما استعصى عليه التخلص منه فكساه حلة الدين، والإسلام. ثم لم ينس أن يدعم جملة هذه العقائد والرموز بهيكل من الأفكار، والمواقف الدينية الملائمة».

وهو قد سار (جب) إلى هذه الآراء من ثلاث فرضيات:

أولاً: فرض أن محمداً ﷺ لم يكن نبياً.

ثانياً: فرض أن ما كان لدى العرب من بقايا عهد إبراهيم عليه السلام إنما هو من مخترعاتهم وتقاليدهم التي ابتدعوها من أنفسهم.

ثالثاً: فرض أن الجان ليست إلا مخلوقات وهمية، وإن كل ما جاء عنها في القرآن والأخبار مجرد وهم.

وأنه في سبيل هذا الرأي الباطل نقل عبارة مغمورة من كلام طويل، ولا ريب أن الإسلام جاء في جوهره ثورة جارفة على كل إحيائية عربية كانت أو غير عربية قديمة، وأنه يجب التفرقة بين ما هو عادات اجتماعية، وما هو طقوس دينية.

وغير صحيح ما ذهب إليه «جب» من أن القرآن يعتمد على لغة الشعر، إذ إن القرآن يلح عن ناحيتين: ناحية العقل وناحية القلب، ويتحدث حديثاً موجهاً إلى العاطفة والعقل معاً، ولا ريب أن السحر والجن حقيقتان إسلاميتان فيها، ولكن ذلك لا يعني خضوع المسلمين للسحر والجن. أما الحجر الأسود فهو رمز إسلامي ليس بمعبود لذاته قد سجل هذا المعنى عمر بن الخطاب حين قال:

«إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع».

وهو في دراساته عن الأدب العربي استعمل أسلوبه في انتقاص الفضل والغض من قدر الجوانب الإيجابية، وركز على الشعوبيين والزنادقة وشعراء الكشف، أمثال: بشار، وأبو نواس، والحلاج، وابن عربي، وحاول أن يصوِّر اتصال الأدب العربي بالأدب الفارسي على أنه تأثير وتبعية.

٢ ـ سنوك هورجرونجه

عمل «سنوك هورجرونجه»، مستشاراً بوزارة المستعمرات الهولندية في

المسائل الإسلامية والعربية وقد استطاع أن يدخل مكة في زي طبيب عالم، ويقضي بها خمسة أشهر. . . درس خلالها المجتمع العربي هناك بين وصول قوافل الحجاج ورجوعها. وفي عام ١٨٨٩، أصدر كتابه عن مكة في مجلدين وصف المجتمع العربي في مكة (الأسواق ـ العبيد ـ الأماكن المقدسة ـ البيوت ـ الأعياد).

كما درس الإسلام في جزائر الهند الشرقية وعيّن عام ١٩٠٧، مستشاراً في الشؤون الهندية والعربية لحكومة هولندا، وكتب عن سياسة هولندا إزاء الإسلام، وهو في خطته السياسية يريد أن يستبقي النفوذ الهولندي في بلاد الملايو أساساً، وعلى ضوء ذلك ينصح حكومته بالتخفيف من عمل جمعيات التبشير في تنصير المسلمين، ويحذر حكومته من أخطار التعصب، والاندفاع فيوصف بأنه من أقل المستشرقين تعصباً، غير أن النظرة الفاحصة لتقاريره وكتاباته تكشف عن خبيئته. يقول: «يجب على الحكومات الأوروبية التي استولت على بلاد الإسلام أن تجتهد في إظهار التناقض بين الإسلام والمدنية العصرية وإقناع ناشئة المسلمين بأنهما ضدان لا يجتمعان فلا بد من رفع أحدهما. ولما كانت المدنية الحاضرة هي نظام كل شيء ولا مندوحة عنها لمن يريد أن يعيش كان من البديهي أن الذي سيرفع من النقيضين هو الإسلام».

قال شكيب أرسلان: «هذا المستشرق الهولندي وكرومر (الإنجليزي) من قادة الاستعمار، يريدان إظهار عجز الإسلام عن امتصاص الأحكام العصبية، وإثبات كونه نظاماً قديماً قد بلي، ولم يعد صالحاً للحياة على أمل أن الفوج الجديد من المسلمين الذين لا غنى لهم عن الحياة المدنية ينبذون الإسلام، وبنبذه تكون أوروبا قد تخلصت من أكبر خطر يحيق بها، وهو الحكم الشرعي الذي لا يجيز للمسلم أن يخضع لأمير لم يكن على غير دينه».

ولقد كانت محاولة سنوك دائماً ترمي إلى دعوة الدول الأوروبية

المستعمرة أن تتفاهم وتتفق على موقف موحد تجاه الإسلام حتى لا يتم تضامن بين المسلمين. ويقول أحد مؤرخيه: «إنه هو «وبيكر» و«مارتن» و«هارتمان» يتفقون على العداوة للمسلمين، والتشكيك في ثورتهم على الإصلاح والتحذير من خطرهم على المستعمرات الأوروبية».

ومن أقواله: «إن الإسلام دين الكراهية، والحرب، ويجب أن لا نسمح له بالسيادة على العالم المتحضر».

ولا ريب أن الاستشراق الأمريكي هو امتداد للاستشراق الغربي، وإن كان في أغلبه استشراق صهيوني يهودي نتيجة سيطرة اليهود على مراكز البحث في الجامعات الهامة أمثال: كولومبيا، هارفارد، وبريستون، وماتسجان، وبروز عدد من المستشرقين الأمريكيين ذوي النحلة الصهيونية، أمثال: «جوستاف فون جرونبوم»، و«فرانز زنتال»، و«فيليب حتي».

وهناك بعض المستشرقين المعتدلين أمثال: «جورج سارتون»، و«تشارلز ادمز». وقد قام الاستشراق الأمريكي بإرسال بعثات أثرية إلى بلاد العالم العربي الإسلامي، وأبدت اهتمامها بحضارات آسيا وإفريقيا، ودياناتها.

ولا تخلو محاولات الاستشراق الأمريكي من العمل على احتواء الفكر الإسلامي، والتعليم، والثقافة، وقد كان لها دورها القديم منذ إنشاء الجامعة الأمريكية في العالم العربي، وخاصة في القاهرة، وبيروت، واستانبول.

٣ ــ جوستاف فون جرونبوم

أما جرونبوم فإنه يدرس الإسلام من منطلق التفوق الغربي والحضارة الأوروبية. وتنتظم كتاباته مشاعر التعالي على الأجناس والشعوب الأخرى، وتدور دراسات جرونبوم في فلك واحد: هو إثبات فضل الحضارة الهلينية على الحضارة العربية الإسلامية. وهو حين يتحدث عن الإسلام يستعمل مصطلح

(المحمدية) لأنه لا يريد أن يعترف بالوحي... الرسالة، وينسب الإسلام إلى محمد ﷺ، ويمثل جرونبوم ذلك التيار الجديد الذي يحاول أن يرد نهضات الأمم إلى مصادر ثلاث: تاريخ الإغريق، وتاريخ بني إسرائيل، وتاريخ روما. ويحاول جرونبوم أن يقيم نظريته على قاعدة أن بغداد وارثة للحضارة القديمة التي يمكن رد أغلبها إلى الفراعنة، والفينيقيين، وهم عرب أصلاً.

ويخطئ جرونبوم حين يحاول أن يرد تراث الإسلام إلى تعاليم المسيحية، واليهودية من ناحية العقيدة، والتاريخ الفارسي من ناحية المعرفة، والتاريخ اليوناني من ناحية الفكر التجريدي، فإن الإسلام قد أقام فكراً جديداً على أساس التوحيد الخالص، يختلف بل ويتعارض مع مخلفات الفكر البشري، والوثني، والإباحي، والمادي الذي كان معروفاً قبل ظهوره.

ولا ريب أن هذه المحاولة من جرونبوم هي محاولة ضالة متعصبة... كما يقول فاروق خورشيد حيث يحوّل معطيات الحضارة الإسلامية إلى جزئيات صغيرة، ورد هذه الجزئيات إلى حضارات أخرى، وشعوب أخرى، بحيث يصبح كل ما في الحضارة الإسلامية مقتبس من الآخرين.

* * *

المراجع

١ ـ **القرآن الكريم.**

٢ ـ **فتح الباري**: بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله بن إسماعيل البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر.

٣ ـ **صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري**: تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

٤ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل أبي عبدالله الشيباني.**

٥ ـ **المستدرك على الصحيحين**: للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦ ـ **سنن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني**: ابن ماجة، ط. دار الفكر العربي.

٧ ـ **سنن أبي داود**: للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني.

٨ ـ **الإسلام في وجه التغريب ـ أنور الجندي، ط. دار الاعتصام.**

٩ ـ **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**: التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه للدكتور عبدالرحمن حسن حبنكه الميداني، ط. دار القلم ـ دمشق ـ بيروت.

١٠ ـ **أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية**: دكتور عبدالودود شلبي، ط. الدار السعودية للنشر والتوزيع.

١١ ـ **دراسات استشراقية وحضارية كتاب دوري محكم**: مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية ـ كلية الدعوة ـ المدينة المنورة.

١٢ ـ **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**: د. محمود حمدي زقزوق ـ دار ألمنار للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة.

١٣ ـ **المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها**: د. عبدالرحمن عميرة ـ ط. دار اللواء ـ الرياض.

١٤ ـ **الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام**: من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود ـ الرياض، ١٣٩٦هـ.

الفهرس